

# المسحاة

مجلة

المجلد الحادي عشر  
الجزء الحادي عشر والثاني عشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

﴿ الجزء الحادي عشر ﴾ ٨٠١ ﴿ المجلد الحادي عشر ﴾

يقضي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج  
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيقيمون أحسن  
أو أملك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الخميس ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦ - ٢٤ ديسمبر ( كانون الاول ) سنة ١٩٠٨ ﴾

## ٨١٨ الاسلام والمدينة الحديثة . اختلاط الافرنج بالمسلمين (المنار ج ١١م ١١)

### الاسلام والمدينة الحديثة \*

هل يشقان ؟

اني اخترت موضوع البحث في الاسلام لأول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية لسيين : الاول ان المسألة الاسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الاسلامية الاخرى اذ كان بين الاسلام والنصرانية على شواطئ البحر الابيض المتوسط نضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب : والثاني لأننا نحن الفرنسيين نعيش مع المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلها لارتباطنا معهم بمصالح دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليوناً من المسلمين ولكن الانكليز لا يختلطون بهم اختلاطاً دائماً وفي مصر وهي أكثر بلاد الاسلام مدنية لا يختلط الانكليز كذلك بأهلها اختلاطاً يفضي الى الاستعمار الحقيقي والاوربيون لا يقطنون سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا مع العنصر الوطني في مستعمراتنا الافريقية على ان المسألة الاسلامية يجب أن تقدم على غيرها من المسائل الاخرى التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم لا يكون الاستعمار موطن الاركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة نجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الاسلامي الذي يربط الامم المختلفة الاجناس والمشارب المنتشرة بين المحيط الاطلانطي وخليج قابس

(\*) خطبة لموسيو رينيه ميليه القاها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد المصرية بالعربية فأثرنا تلخيصها لقراء المنار لما فيها من الحقائق والانصاف

## (المنار ١١م ١١) الافرنج فانهم بالشرقين والاسلام . الاسلام سرعة انتشاره ٨١٩

ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار اعتبارا آخر أكبر منه شأنًا وأعم فائدة وهو أن ظنون الغربيين بالامم الاخرى قد بدأت تتغير تماما وأذكري اني كنت أسمع وانا يا فاع ان الامم الآسيوية لا تقوم لما قائمة وانها ستبقى رازحة تحت اجواء الانحطاط والجمود ، وفي الغالب كانوا يلصقون التهمتين مسابها على مافيهما من التناقض اذ حينما توجد حركة تأخر لا بد وأن تتبعها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لاتزاع فيها ان الصين امة جامدة وان اليابان امة ليس لها الا مدينة سطحية وان الهند لا يمكن أن تصلح شؤونها وكانوا يتهمون الاسلام بهذه التهم نفسها وان الذين هم في سن موافقة يذكرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداها ان المسلمين في جمود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والقضاء والقدر ولست في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسها كبرياء الغربيين قديتين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكن دوت في أقاصي آسيا وأصبحت الامم التي كنا حكمنا عليها بالموت والجمود يقظة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستورا وهاهي الاستانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجمعه وما كان يخطر ببال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطرأ تغير على برنامج دراستهم وهو الامر الذي أصبح لا بد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

واننا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجبدًا من التساؤل عن الجمود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شيئا بتهمة الخمول التي ألصقوها باليابان ومالبت أن اضحلت وظهر بطلانها !!

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي ينتشر ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حدود لا تتجاوزها البتة وقد أصبحت هذه المسألة لانزاع فيها ولكن ماذا يقولون اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع بطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها ومن ذلك انه أنشأ بقرته الذاتية وبالمهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم المتدين دمشق



## ٨٢٠ الاسلام . موافقته للعلم وحنه عليه ( الماتر ج ١١ م ١١ )

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومتر!! وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم ؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات مما أنفق عليه ؟

وان لفرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم  
فاذا كانت مدينة الاسلام هي تلك المدينة الجامدة المزعومة فيجب علينا اذ ذاك أن نعامل هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضغط والشدّة خلافا لما جبلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء ما يبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنة في صدور المسلمين حتى البعدين عن الدين منهم (؟) ومن الامور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناسا مازالوا محافظين على بقية من أوهام الحروب الصليبية ضد المسلمين  
وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلت في كل مكان عكس ذلك فن الواجب أن نعد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية وثقودها معنا في طريق المدينة وهذه النقطة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم  
ان امامنا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فمنها الطريقة التي يمكنني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكتب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر يهشون للعلوم ويقبلون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسلمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها انى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

هذه الطريقة تصلح لاقتناع قومنا بان الاسلام يحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها ( الاولى ) انني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام اننا بصحة في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

## ( المار ج ١١ م ١١ ) انتشار الاسلام . سببه . الدين الروماني . الاقائيم ٨٢١

منها ( والثانية ) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يحيدون عنها ويأخذون بأقوال الفقهاء والشرح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلو عرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ماقرره الامبراطور يزانطين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القرار على الدولة البيزنطية من المشاكل أعقدها .

ولقد كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان ديناً يتبع الديانات الأخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البيزنطية باب الآلام والهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطورة متوفرين على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعف ملكتهم واتقراضه . فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيعها الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقية » !!

وان مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الاقائيم التي نعتقد بها الآن بكل سكونية واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدال فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الأولية فأحترمت الصوامع ورفعت عن أهالي الخدمة العسكرية وعاقبتهم من دفع الضرائب

## ٨٢٢ الاسلام . حقيقته . ملائحته للفترة . تسامحه ( المنازج ١١ م ١١ )

فلم يكد يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف ومثلت جوانبها بالخلافات الدينية

إذا فما هو الاسلام ؟ الاسلام دين جاء بخلاف كل ذلك فقد اعتاض عن تعدد درجات الادارة بسلطة واحدة يرجع اليها الحل والعقد في كل الامور ولم يقرر شيئاً من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى أيضاً على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة معا وبالجملة فقد أتى الاسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الاسلام ارجع الدين الى حالة الطبيعية ولم يأت بشيء من تلك العقائد المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » وبذلك خلا الاسلام من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الاوربية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى في حالة استياء من تسلط الدولة البيزنطية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الاسلام وهم يعلنون أنهم أهل التسامح مع مخالفهم في الدين لا يطلبون منهم الا ضريبة يستعينون بها على اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تسيط دخول الذميين في الاسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرهم عليه لان اسلامهم يقلل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموزج يمكنكم ان تتصوروا كيف نضبت ينابيع الحياة في الدولة البيزنطية واتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتشف مع انها لم تقلل من فساد الاخلاق — ويمكنكم ان تدركوا كيف ان التبعة الاسيوية اعتبرت ظهور الاسلام ايذانا بنجاتهم وسعادتهم .

وأذكر أني أيام كنت أدرس تاريخ الاسلام كان الاساتذة يقررون سرعة انتشاره من دون ايقافنا على أسبابه، وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طبيعة

(المنار ج ١١ م ١١) الإسلام، إرشاده إلى البحث، نبوغ العلماء من أهله ٨٢٣

حرية وإن خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها!! مع أن الحقيقة أن الفتوحات العربية كانت على البغال إلا أن العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تثقل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الانقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

وإذا كان ذلك كذلك أدركتم ما تبع هذه النهضة من الأعمال الجليلة .

أتى العرب بعقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل إليّ أنه كانت على أبصار مسيحي القرون الوسطى غشاوة من تنسك منعتهم من إدراك الأشياء على حقائقها

وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث .

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟

كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخيالات أفلاطون، نعم كان كل اهتمامهم يكتب ذلك الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة ثم انهم مالوا إلى الاشتغال بعلوم الطبيعة وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — وفراط تقديرهم للحياة الدنيا نبع فيهم الشعراء المجيدون الذين قالوا شعرا اذا وصفناه بأنه أرضي فذلك لأنه قريب من العقول يفذيها وينعمها وأنه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تخطيط الغرب المسيحي في تماثيله وأوهامه وانزواته!!

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانما يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما يتبادر إلى ذهن الباحث النزيه وهو ان الإسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت إليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب .



## ٨٢٤ الاسلام . مدنيته السالفة — وصية عبدالرحمن الاول اولده (المنازع ١١م ١١)

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدينة الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في أسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأين لكم الآن ان افترق هاتين الروحين كان وبالا عليهما معا

كان الباحثون في الاسلام يعتقدون ان الدين نظام كامل لا يتبدل ولا يتغير فيكفي ان يدرس مستقلا عن كل عامل أجنبي عنه للوقوف على قيمته ولكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة آهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفا عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم ورقبيتهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبدالرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعلق بتاريخ الاسلام في اسبانيا:

«اعلم يا بني ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه من يشاء فاحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصاً أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وساو في حكمك وقضائك بين الفقراء والاغنياء ولا تولّ أمور الناس الا من عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جنودك بالشدة واللين معا ليكونوا حماة الدولة لا عوناً للظلمة من الحكماء . وواجب عليك أن تظل الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بموتك ، لانهم مورد حياتنا وحرص على محبة الرعية لك واملقهم بك . . . الخ

اتي أود أيها السادة أن أسمع مثل هذه الوصية من رئيس وزارتنا في زمننا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

(المنار ج ١١ م ١١) الاسلام . سيادته على العالم . تمازج اهله مع النصارى ٨٢٥

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لاني أخشى أن تهمني بعمل مقارنة تشوّه سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل

لبثت هذه المدينة التي أتت بالمدهشات والتي لا يزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الأندلس في سنة أو سنتين ثم لم تنتزع من أيديهم الا بعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب " وإذا أضفنا الى هذه المدة المئتين أو الثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الأتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية

ولكن ثمة أمراً يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن ( موضوع التوفيق بين المسلمين ) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطئ البحر الايض وفي الأندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتألفهما

ابتدأ هذا التعارف في الأندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتكم أن مايرويه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في جملة لانهم يمثلون « السيد » في قصة الفبا ( كورنيل ) بطلا مقدما أعده قومه لمجاهدة الكفار ( يريد المسلمين ) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل انما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرئ لاطوار العلاقات بين النصارى وأمراء الاسلام في الأندلس يعلم ان الأمراء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبناءهم مرض وكثيرا ما كانوا يفتدون الى قصور الخلفاء و يقيمون بها حتى يتم شفاؤهم قرون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بة ما يرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

لقد لزم مسلمو الأندلس التسامح مع النصارى وموتهم حتى في الدور الذي

(المنار ج ١١) (١٠٤) (المجلد الحادي عشر)

## ٨٢٦ الاسلام في الاندلس . تسامحه . تأثيره في أوروبا ( المارچ ١١ م ١١ )

اضطحت فيه دولتهم وأخذاء المسيحيين يقصونها من أطرافها فإذا اتيج لاحدكم أن يتجول في أنحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ما شيدوه في دور اضطهادهم ليستخلص من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور لضعف سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتساهل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوروبا وكان كل من يريدون أن يستنشقوا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الامراء المسيحيون وهي مهد القسوة والظلم هناك يعاقب الامراء من بأسروهم في ساحة الحرب بالقائمهم الى كلاب مفترسة تمزق أجسامهم إزباً لإزباً .

لم يكن ذلك مقصورا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة لبثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارتها مع الشرق وتعلمون ما استفدناه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذاك فقد كان لا كثير من البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفاكم ان من أسعدهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى قلقت الكنيسة الكاثوليكية على أبنائها من سريان روح الاسلام اليهم ونظرت بعين الخوف الى تنازع المبادئ الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آقهم وعدوهم اللدود !

هذا وان هناك حقيقة يجب أن نبينها وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية في هذه الفترة التي تعارف فيها المدينتان المسيحية والاسلامية - كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوروبا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يعد في امكانها ان تدفع ثمن كل ما تشتريه ، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع امراء أوروبا في

(المراجع ١١م ١١) الاسلام. أخذ أوربا علمها عن أهلها. تعصب أسبانيا عليه ٨٢٧

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الاكثر الى فقر أوربا واعواذها من الحاصلات التي تتبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فإن أوربا لبثت ثلاث مئة سنة تقتبسها من الاسلام وكانت المدنية الغربية تبجي ثمارها البانعة ولكن حادثين عظيمين أوقفنا سير ذلك التيار الكهر باني الذي كان يحيط بالبحر الابيض المتوسط وهما : استيلاء الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ واستيلاء الاسبانيين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الاتحاد الدينية حتى انك ترى آثار التعصب الاسباني في تاريخ عرب الاندلس كالقطة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصعة ولا سيما في ذلك الوقت الذي حالف فيه الامير يوسف جماعة القسيسين . وفي رأي ان تعصب الاسبانيين كان أفضع وأقل عذراً لانه جاء في زمن كانت القوة والعدد لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يفخر به الاسبانيون والذي يحسبونه يجمل عصر فرديناند وايزابلا لم يكن في الحقيقة الاعمال وحشياً برياً لم أعهد في التاريخ أقبح منه ، خصوصاً وان اماره غرناطة لم تكن تهدد أسبانيا في شيء لاستيلائها على ما حوالها من الاراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها — ولا بد ان يكون الاكليروس الاسباني أو الطليطلي رأى ان يحقق هذا الجمال ويزيل المدنية البديعة خدعة للمسيحية والمسيحية بريئة منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعوداً قبل الدخول ولكنهم أخلفوها وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها قتلذوا بمنظرها وظنوا أنهم بعملهم هذا قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم . ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية كافة ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعهم زمراً وحبسهم في غرف واسعة ورشهم بالماء اشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم ! — ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المتصرين لا يزالون يفتنون طمعوا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آت لا آخر . ومن ذلك ما وصل اليه من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال



## ٨٢٨ الاسلام . آثار مدينته في الاندلس . ظلم أوربا ( المئارج ١١م ١١ )

اللغة العربية والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هذا الامر الاخير ان الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرماً لا يغفر !!!  
ولقد زرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحكمة البناء البديعة النقوش التي أمر فيليب الثاني بتهديمها حقداً منه على المسلمين ومطابقة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها مأوى الشياطين !! . في هذه الحمامات كان العرب ينتظفون وبها يتطيبون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاستحمام النافع وانكم تعلمون كيف طرد المسلمون المجهرون على التنصر من وطنهم سنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسلام المتمدن بربريا نعم لما انفرد الاسلام بنفسه بينما كانت أوربا تخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كشجرات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجزء ولكنها تثمر ثماراً غير جيدة هذا ولا تظنوا ان أوربا لم تتأثر من مفارقة المدينة الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنقص — ثم هل نحن في حاجة إلى بيان ما وصلت اليه أوربا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الاجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن اذكركم بفظائع دخول الاسبانيين أمريكا لتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيقود الامم الاجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الاخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرايتم ان اتساع سلطة أوربا وانتشار نفوذها انما كان باسترقاق السود وتعذيبهم ولرايتم ان غرضها انما كان جمع المال لاتخرج من اتيان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مفارقة الاسلام لها واقرعها عنها — ولقد بلغ من غلوها في الظلم والاعتساف أنها رأت في بعض الاحياء انه لا يستقيم لها بلداً الا اذا استأصلت أعلاه وأهلكتهم وهكذا فعلت انكلترا في أمريكا

## (المار ج ١١م ١١) الاسلام . امكان رجوعه الى مجده . القضاء والقدر ٨٢٩

نعم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين أيديهم . ثم انهم تحملوا المشاق وقاموا بالاعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يفقهوا مدنية أجنبية عن مدينتهم وأن يقفوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالمهم في خطتهم الاولى وشرعوا يلمسون خطة جديدة غايتها تقدير نفوس الاهلين الاصليين ومعرفة صادقة

فهذا التفسير التاريخي كاف لا يقاومكم على أسباب ارتقاء الاسلام تارة وأسباب أفول نجمه تارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهتين الدينية والفلسفية لاننا اذا قصرنا إبحاثنا على ذلك انسدادا أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الأشياء فنجدير بنا اذن أن نتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لنعرف طبيعته واستعداده للارتقاء

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا تقبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فمن الظلم أن نحكم على تلك الأمة بالسقوط الابدي وباستحالة يقظتها وارتقاءها لان الأمة التي أمكنها أن تهض في وقت ما يمكنها أن تعيد عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين ويهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدم والتي قال العلماء وكتبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير ان يبدي مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قرره المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فاذا نقول عنه في المسيحية ؟

## ٨٣٠ الاسلام - اهله في الماضي والحاضر ( المراجع ١١ م ١١ )

ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية واني أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكنني أجب عن هذا السؤال متبعا الطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائجه من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان ينتحله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربوع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء بعيدون عن طور الحضارة في بلاد ذات هواء قاس تحدو بأهلها الى اجهاد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة، وكذلك كان الامر في الاسلام إذ لم يعرف المسلمون الاولون الاستسلام للحوادث، بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير أن يثاروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدرّون على الخلاص منها مكثفين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالمبادئ الدينية تفسرها الامم بحسب ماتوحيه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامة وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها

أفل نجم المدينة الاسلامية بعد ما أثمرت واينعت فترة طويلة من الزمن ولكن هذه المدينة تكفيها نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها

أيها السادة: اذا كان الاسلام قد أخطأ فخطؤه في تلك السذاجة التي اختص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها . لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقد كانت في العصور الوسطى نعمة على المسلمين الا انها انقلبت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحللها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل . انظروا مثالا الى نظام

## (المنار ج ١١ م ١١) الاسلام . خلال نظام دوله الآن ٨٣١

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عمالهم في الولايات فلم يكونوا متبعين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شؤون الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفتوحات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة وتشعبت الاعمال فلا يعود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنابته في فروعها كافة

واذا أردتم ان تهفوا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكس لجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا بقيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يجبي الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصادف كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة تقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة تعيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقيد البتة

إني أذكر ان سلطان مراكس السابق قضى حياته في الحروب الداخلية فضاها على ظهر جواده متقلًا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلاً هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي تتبعها لا يحتاج في جباية الضرائب الى ازهاق الارواح بل يكفي ان تتبع الوسائل النظامية التي تسكفل القوة العامة بحمايتها وتحقيق غايتها هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا الخطأ — ان صح ان نسميه كذلك — ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصبغة العامة اللينة التي اتصفت بها مبادئ الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا ينافيها بل يقابلها بصدر رحب ولذلك ترون المسلمين المستنيرين لا ينفرون من النظامات التي أنبتتها مدنيتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها أما في دائرة الفكر فينقص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عزه بل في



## ٨٣٣ الاسلام . حاجته الى توزيع العلوم . الجمعية الخلدونية ( المار ج ١١م ١١ )

العصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان ينبغ فيما اتدب له وانه يحضرنى الآن مثال على ذلك :

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الاكبر في تونس . اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لا ينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من المدينتين فقلت لاحد اولئك العلماء :

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاهية زاهرة في العصور الوسطى وانها أمدت أهل أوروبا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحنا الآن أعلى منكم كها في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل ؟

ان السبب الذي أراه هو انكم متبعون الآن نفس الطريقة التي كنا تتبعها في القرون الوسطى ، انكم لا تتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق بفرع منها بل يعمل كل منكم «معتقدا أن في امكانه تحصيل العلوم كلها » أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكننا أن نخرج من حالتنا السابقة فيمكنكم أنتم أيضا أن تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

تقد شاهدت بنفسي أيها السادة أهل تونس يقبلون على العلوم الحديثة وآنتست فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتقاء في هذا المضمار . وكأن محادثتي مع علماء تونس وترغبي إيائهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثمرت وأتت بالنتيجة المتبغاة لانها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين النيرين دعوها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروها على الاعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استعداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقي اخوانهم ثمار هذه العلوم

## (الماراج ١١م ١١) الجمعية الخلدونية . تأثيرها ومستقبلها ٨٣٣

ولقد سبقتني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأبر وأحد أعضاء هذه الجمعية فطفق يسرد الأدلة على اتفاق الاسلام مع المدنية الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يفوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقيها القائمون بالحركة الإصلاحية من أنصار القديم فانه وان كان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل التمدن الغربي سهلا فان هناك فريقا كبيرا يطعن على هذه الحركة ويحاربها . فكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار . وإنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حيث الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها في مبدأ أمرها لان كل اصلاح لا بد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة ولقد كثر أعضاء هذه الجمعية وصار طلبة مسجد الزيتونة بعد أن يتلقوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يندون إلى دار هذه الجمعية فيستثيرون بما يلقى فيها من العلوم الحديثة وان هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لا ينافي المدنية .

بقيت مسألة جديدة بان نبحت فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا . واني معبر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع النقط التي تناولها بجني اليوم

ان هناك أمرا يجب أن تقف على حقيقته وهو هل تقدر على ايقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكملت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تغلب علينا وتتجه ضدنا وتم على مالا نرضاه ولا يتفق مع صالحنا البتة

## ٨٣٤ الاسلام . نهضته . ظنون أوربا بها . ما وراء المادة ( الملتار ج ١١م ١١ )

ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين اللذين ينهض فيها الاسلام بل هناك مصر التي حدثكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في نهضتها وهناك كثير من البلاد الاخرى التي حي فيها الاسلام حياة جديدة على ان هناك اعتبارا أشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعوننا الى أن لا ننظر بعين الكره والسخط الى يقظة المسلمين وهوان هذه الحياة الجديدة التي ابتداء يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها أن تقرب بين العالمين المسيحي والاسلامي وتوفق بين المدينتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نفرض أن المسلمين يسبرون في طريق المدينة الغربية سيرا حيثما فلماذا نعتبر أن ستكون هناك مدينتان ولماذا لا تقف المدينة الاسلامية في جسم المدينة الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولان العلوم هي أساس كل مدينة ؟ على اني لا أشارك أصحاب هذا الرأي في رأيهم لان العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات لها تأثير كبير في أحوال الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقفون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون أن العلم يعترف بوجود دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه فقد ابتداء الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك الحقيقة الثابتة وهي أن العلم مهما اتسعت دائرته فلا يزال أمامه عالم غامض ومهما استجلى العلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول أوسع بكثير من دائرة العلوم .

انه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس مادام عالم ما وراء المادة مكتنفا بالمدهشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملائمة للفطرة والذي سعد حظه بان امتد ظله على ضفاف البحر الابيض تحت سماء صافية الاديم لم تلبد بالغيوم كما تلبدت سماء بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلاثا في تلك البلاد المتناثية الاطراف ولم تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرباني الساطع

## (المنارج ١١م ١١)الاسلام . اقبال اهله على العلم . مبادئ حكوماته ٨٣٥

أيها السادة : ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وعالم ما وراء المادة قد تبينه المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن اتخذ من التونسيين برهانا على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم انما يتبعون الخطة التي نوحىها اليهم والتي تقصد منها إفراغهم في قالب فرنسي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية . بل أقول لكم انظروا إلى الاتراك وكيف وفقوا بين الدين وجنسياتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الاسلامية قابلة لمبدأ الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطبغ بمبادئ حكوماتنا الحديثة

ان الحكومات الاسلامية لسعة مبادئها قابلة للتشكل بأشكال مختلفة وهذا التشكل هو الكفيل بارتقاها . اتذكرون أيها السادة ما قاله الاقدمون في المسيحية؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الاديان فلو ان الاسلام اتخذ شكلا من اشكال الحكومات وظل باقيا عليه لا يعدل فيه ولا يغيره لآت موته أبدية وافضى ذلك الى ضرره وضررنا .

واسمحوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها ماسيو جوناو حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدربة وهي : « ليس المقصود من الفتوحات مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ما هو اسمى غرضا من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .





## ٨٣٦ الخطبة الثانية لمصاحب المنار . معنى الدستور . المستبدون (المنار ج ١١ م ١١)

### الخطبة الثانية (\*)

#### ﴿ من خطبنا في الديار السورية ﴾

وهي من الخطب السياسية

أيها الاخوان الكرام

أقترح علي ان أقول شيئاً في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالاً ، ولم يغادروا لمن تأخر عنهم متردّماً ، فرب فكر فيه أريد ان ألقه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد على مسامعكم ، ووجال في مجامعكم ، فقف الفكر ، ويتلهم اللسان ، ولكتني لم أحضر تلك الجامع ، ولم أسمع شيئاً من تلك الأقوال ، فإذا قلت شيئاً مما قيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكرر يحلو ، ورب إعادة ، فيها افادة ، المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره بيد من تختار من أفرادها ، لا بيد رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه وارادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهل والانحطاط أتدرون ما هي القاعدة النظرية التي يبنى عليها المستبدون هياكل سلطتهم الجائرة ؟ هي ان الامة كالجنون أو السفينة أو الولد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي يقوم بمصالحه ، وولي يتولى تدبير أموره !!!

(\*) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير الايالي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطاباً في الدستور والاجتماع فارتجلنا خطاباً نثبته هنا ما تذكر من مسائله ولعله معظم كلياتها ولا نزيد شيئاً الا ان يكون في العبارة كزادة السجع دون جوهر المعنى

## (المارج ١١ م ١١) المستبدون . مزاعمهم . استئثارهم بالسلطة ٨٣٧

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحقونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفيهة كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمرها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، ويكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكم العدل ، والعقل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ؟

كلا إن ذلك أمر غير مقبول ، وحكم استبدادي غير مقبول ، المشاهدة تنقضه ، والتاريخ ينفذه ، فقد قرأنا في سير الفارين ، ورأينا في حال الحاضرين ، ان أكثر الملوك والأمراء المستبدين . هم أعرق أفراد أممهم في الجهل ، وأوغلهم في أفن الرأي ، وأشدهم فسادا في الارض ،

أي قاض من قضاة العدل حكم بمجنون الامة أو سفها ، ووجب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ؟ أي شرع يبيح للوصي ان يتصرف في حال السفه أو القاصر تصرف المالك في ملكه ، ولمن كان في وصايته كثيرون ان يتبع في معاملتهم هواه ، فيمنع بعضهم من حقه ، ويعطي الآخر مالا يستحقه ، كما هو شأن الملوك والأمراء المستبدين !! ألا ان هؤلاء الادعاء في وصايتهم ، المقتدين في ولايتهم ، ليسئون التصرف في ملك الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، وبالقوة القاهرة يمنعونها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي ، بل يحولون بينها وبين معرفة ممتلكات ، وما لها من حق الرأي والتصرف ، لتبقى عالة عليهم ، راضية ببقاء الامر فيهم ، ولهذا يمتت المستبدون العلم ويقاومونه اشد المقاومة ، وقد رأيتم ذلك في انفسكم فقد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تدفونها في حنادس الليل تحت الارض ، خوفا من زبانية الاستبداد أن تدمر على بيوتكم قتراها ، فتزل العقاب الشديدين اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهربون السلاح ، ويساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق ، فقد كان كل ذنب مباحا أو متساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الا ذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يهبون فيها بالأوراق المضرة ،

## ٨٣٨ الاجتماع والجمعيات . قوتها . الاحرار ( المارچ ١١م ١١ )

لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فتطلبها من طريقها ، واذا يحرمون من التمتع بذلك السلطان المطاق ، والتصرف بتلك القناطير المقنطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المنصوبة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه هو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا نتقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لعظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة ممن كانت كلاءة الله ظلاممدودا فوقهم ، وسنته في النجاح صراطا مستقيما أمامهم ، ألا ترون أن الحكام المستبدين يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لعلمهم ان الحق لا يغالب اذا وجد نصيرا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هياكل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا بعميد عنكم وانتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية شورية ،

أرايتم لو أن أحدا هس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وأنتم تثنون من ذلك الظلم الفاحش قائلا : ان نفرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجرة لهم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافتون بينهم في تدير الحيل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

## ( المارچ ۱۱م ۱۱) الاجتماع والتعاون . حصول الانقلاب العثماني بها ۱۳۹

على الدولة العلية ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء القانون الاساسي ، فها هو رأيكم في هؤلاء المجتمعين ؟ ألا يقول اكثركم انهم مجانين ( مجانين مجانين ) بلى ولكن قد علمنا الآن علم اليقين ان هؤلاء نفرهم الذين قوضوا تلك السلطة الظالمة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الاخير على الدولة العلية ، فما الذي أقدر ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وألوف كثيرة من الاعوان والانصار ، القابضين على زمام الاحكام ، كانت ترتعد من ظلمهم الفرائص ، وتضطرب لتصور استبدادهم القلوب ؟ ليس هو الاجتماع للطالبة ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الانصار الاخيار من اليائسين ، كما كان اكثر العثمانيين ، لما نالت الامة العثمانية هذا النصر الميم ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كثير من ساسة أوروبا وكتابها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لان الممهور في التاريخ أن هذه النهاية لا تتال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وطلاب الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما عملنا الآن شيئاً ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الامة وظهيرها ، فما عدا مما بدا ؟ أليس قد اتحد بعض ضباطه اهل العرفان والحمية ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحرية ، فكان العلم والرأي ، هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني  
نلنا الحرية والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه بطلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، واثبات رشد الامة وأهليتها للقيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الامة حقيقة وصارت أهلاً للتصرف النافع ، الذي تحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الامة العثمانية عسير جداً . فانها على اختلاف شعوبها في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب متفاوتة تفاوتاً عظيماً



## ٨٤٠ البلاد العثمانية . تفاوت الرقي فيها ( الماراج ١١ م ١١ )

في التربية والتعليم اللذين يؤهلان الام للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه التربية من مجموع العرب، والارمن أرقى من الاكراد، والاساتنة والولايات الاوربية، أرقى من الولايات الآسيوية، وولايات سورية وسط بين ولايات أوربا وبين العراق والحجاز واليمن، واننا نرى الاستعداد في سورية ضعيفا فماذا نقول فيما دونها، فكنا كثيرا ونحن في مصر لنختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الاحرار الشجعان ليؤلفوا لنا شعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نعثر في أكثر المدن على من تثق بقبوله لدعوتنا، ودخوله في جمعيتنا، دخل في الجمعية رجالان من أهل بيروت كل منهما صديق للآخر ولم يكشف احدهما الآخر بذلك الا بعد إعلان الدستور، وناهيكم بجمرة أهل بيروت

ان العاقل الراشد اذا منع التصرف في ماله بالقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أبيع له العمل وهو غير متمرن عليه يحار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه ان يجري فيه على طريق السداد . وقد اهتدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء ( المرحوم محمد باشا المحمد ) فقسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه وبين أولاده ليتمرنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضياع لئلا تفاجئهم الثروة فيعوزهم حسن إدارتها وحفظها، وغفل عن ذلك كثير من الاغنياء فلم يأذنوا لأولادهم بالتصرف في ادارة ثروتهم ولا بالتمتع بما تستشرف له نفوسهم منها، فلم يلبث أولئك الاولاد بعد موت والديهم إلا قليلا، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا، كما رأينا وشاهدنا في مصر كثيرا، واذا كانت ادارة الثروة الشخصية لا تصلح الا بالعلم والتمرن معا فكيف تكون ادارة الممالك وسياسة الامم ؟

لا يعجلن أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي اراحنا الله من شرها، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلأت القلوب رجاء في خيرها، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينجح الاحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لوقعت الامة

( المارج ١١م ١١) الأمة العثمانية . استعدادها للدستور . الاحرار . مقاصدهم ( ٨٤ )

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبه ، وإنما قلت ما قلت آنفا لانه الافكار الى حقيقة حالنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الأمة العثمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فان فيها من الاحرار المرتقين في المعارف والاخلاق من جميع الشعوب من يرجى ان يقوم بهم هذا الحكم خير قيام ، ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الأمة في كثير من البلاد يحملهم مشاق كثيرة في إقامة العدل ، واصلاح حال الملك ، ومقاومة كيد المتقهقرين ، أعوان المستبدين الظالمين ،

لا تظنوا ان الاحرار الكرام الذين نلتا الدستور بسببهم كانوا غافلين عن هذا ، كلا إنهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها ان تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضعه الى أن يبلغ أشده ويستوي ، فانشأت لها شعبا ولجانا في كل مركز من مراكز الولايات والألوية والاقضية في المملكة ، وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان :

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لاجل ان تنفذ الشريعة والقوانين في دائرة الدستور ، ويحفظ الامن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان . والمقصد الثاني نفخ روح الحياة الدستورية في الأمة وتحبيب الحرية اليها بث الآراء والافكار النافعة فيها بالخطب والمحاورات ، وحثها على التربية المالية والتعليم العصري الذي يجعلها أمة دستورية بالطبع ، تأبى الاستبداد وتنفر منه كما تنفر من الاسقام والادواء . فحيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وانه يجب على الأمة كلها ان تساعدوا في سعيها فانه لا حياة لنا الا بالتربية المالية وتعلم الفنون العصرية . . .



١٨٤٢ انقلاب العثماني . المايين . تفتت في اكل الرشى ومنح الرتب (المنارج ١١م ١١)

## الانقلاب العثماني (\*)

### ﴿ وَرَكَا الْفَتَا ﴾

٣

#### تفتت المايين في أكل الرشى ومنح الرتب والاوزنة

كان لرجال المايين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطله كبر ماش اورمانه كوندور يوم » أي اني أرسلك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وخطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت المحاكمه ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتمدنة ، ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعد ان كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من المايين مباشرة ! تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشتهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقرونا بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بائعوا الرتب يعتمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتناقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

( \* ) تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

## (المارح ١١م ١١) كثرة الوظائف اختلال المالية وارهاق الفلاح ٨٤٣

القارىء ان لقب بك توجيه جديد كلف كونه أو مركز عند الافرنج، وامتلات دوائر الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاهم بالعمل الذي هم فيه، ولم يكن الغرض من التمييز التحري على موظف قادر على ايفاء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للمقرين والمكتسب لهم أو للذين يخشى بأسهم ١١. فزاد عدد الاعضاء في شوري الدولة عن المئتين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضواً، وكذلك مجلس المعارف ومجلس التفتيش والمعاينة الضاغطة على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي يحا من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل: حرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد.... كما غيرت اسماء الموظفين من عبد الحميد و سلطاني ونحو ذلك الى اسماء اخر وبعضها حرفت وكتبت سلتاني، وامتلات نظارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الاخير لما عرضوا عليه الميزانية: لولا وجود معاشات المعلمين لامكتني وضع الموازنة ١١. فكانت معاشات المعلمين تضايقهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسمية عن ثمانين عضواً، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والعسكرية والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمعينة الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقلام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجد له كرسيًا للجلوس عليه ١١. وكانوا يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم.

### اختلال المالية وارهاق الفلاح

اختلت الموازنة المالية اختلالاً عظيماً ادى بها الى حجز نحو نصف رواتب الموظفين والعساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في حياة الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتساق الموظفون الى المزاودة بأعشار الاقضية والاوية، وعدوا ذلك فضيلة وسبباً مشروعا للمكافأة والترقي، والمكلفون من الزارع والفلاحين يتنون تحت اثقال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم، وقلم كان يمر على القرية شهر من دون ان يأتيها المعشرون وجباة الاموال الاميرية ونصيب المعارف ومصرف (بنك) الزراعة وادارة



## ٨٤٤ نظارة المالية والديون العمومية . العسكرية . اختلاها ( المارچ ١١م ١١ )

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع أراضيهم وتزويج بناتهم ليأخذوا صداقهن ويعطوا للحياة ما يطالبونهم به من الاموال الاميرية !! فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين : « ان الاراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها الا بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الارض الموات وجعلها خصبة بعمله وحرثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه الخصبة مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحيثما توجهت فيها لا ترى الامروجا نصرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال المايين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبعث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية ( Budget ) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في اوربا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلا ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الالمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الادارتين

اختلال الادارة العسكرية بادارة الجواسيس لها

اختلت ادارة العساكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

## (المنارج ١١م ١١) المايين استبداده رجال العسكرية ١٨٤٥

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدث الانقلاب !!  
 مم ان دول أوربا ولا سيما ألمانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة  
 بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع أولاده وأسرته وجميع ضباط  
 السفارات الاجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني  
 الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لطول  
 مكثه ، فصدأت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلست أموال  
 كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر  
 والمدركات ، وصار الترقى في المراتب لا يبنى على القدم والاضطلاع والاستحقاق ،  
 بل على الالتئاس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة  
 في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندية معنى حتى ولا احترام من فوقه في الرتبة ،  
 وكان الضباط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسماسة بأثمان بخسة ،  
 حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حلة ( بدلة ) العسكري التي تشتريها  
 الدولة بمئات من القروش بعشرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلة كان  
 يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلة  
 من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسماسر فيعطيه  
 هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السماسر مع المحاسبه جي ومن فوقه ويربحون  
 الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر ( ايراد ومصرف ) كأنها جرت على القاعدة  
 والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية  
 البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في  
 شوارعها وحاراتها !!

اشتبهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوربا وخدموا  
 الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فابعدتهم عن الاستانة  
 وأشغلتهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون  
 الاسامي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين  
 شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد

## ٨٤٦ الجاسوسية . استنفادها . تهم مزاوليها . الجامعة الإسلامية (المنار ج ١١ ص ١١)

باشا الشهير ونافذ باشا وهو صهر عالي باشا . وأصبحت قيادة العساكر وإدارة المدارس العسكرية بأيدي أناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل إلا التجسس على أصحاب الأفكار النيرة وإبعادهم عن مركز الإدارة ، وكانوا يعدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والمحافظة على الخلافة الإسلامية !!! فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة ، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانعامات !! . فكان الجواسيس ينظمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة ، ويختلقون المسائل ويفترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة يبندها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم ، وما ذلك إلا لإظهار خدمهم وإثبات تيقظهم ومغالبتهم لنيل المكافأة ، والمالين لا يكلُّ من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في مئة كاذبة واحدا صحيحا ، فإذا قالوا : « فلان له قصد سيئ بالخليفة » أو « له مخامرة مع حزب تركيا الفتاة » أو « عنده أوراق ضارة » كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله وإبعاده ، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات المملوكة والمس يحقqx الخلافة الإسلامية ، على أنهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة إسلامية وهي المعبر عنها عند الأفرنج بقولهم « بان اسلاميزم Panislamisme » كما توجد سياسة سلافية « بان سلافيزم Panslavisme » وسياسة جرمانية « بان جرمانيزم Pangermanisme » ولا نجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص للمصالح الإسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الإسلامية درسا تاريخيا علميا للوقوف على أفكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية ، وعلى أحوال العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية . فقصدتهم من السياسة الإسلامية قاتلوا كل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه بنبى العباس لم يباشروا الحكومة أمرا جديا ليعمران البلاد واستخراج روثها الطبيعية والسير بها في معارج التمدن والرفاه ، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد ، بل ما كانت جميع المشروعات الوطنية فكانت لا يمكن من فتح المدارس

## (التاريخ ١١م ١١) المدارس . اضطهادها . الإصلاحات الموهبة ٨٤٧

الخصوصية أو تعليم الأولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلدان الأجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات وأطفأت حمية أرباب المهنة تذرعا بأنها تؤدي إلى الثورة والاضطراب، فكم نظر الولاة والمتصرفون شذرا إلى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو إلى مدرسة سلطانية أسسها الجماعة أو إلى شركة صناعية أو مالية عقدها الأهالي، ومصرعان ما كانت تعطل ويمحى أثرها، وكم منعوا الآباء من إرسال أولادهم إلى المدارس الأجنبية أو إلى مدارس أوربا، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية وإصلاح المرافق التجارية وتطهير المستنقعات إلا اجابة لطلب الشركات الأوروبية وتوسط بعض المتنفذين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية، فمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به فرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز، ويبقى النصف الآخر بحافضه في مقابل اتعابه بالذهاب من المايين إلى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم إلى كبير القلم أو الدائرة، وكل زيارة تحتاج إلى اكرام (شوقه خاطر) !! روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مدسكة حديدية كبيرة على أخذ أربعين ألف ليرة عثمانية، وأنه لم يقبل أخذ حواله على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتكاب، واشترط ان يكون ذهباً عينا، قال الراوي فجاءوا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرخمة عمداً عمداً وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة صفوفاً متوازية مازوزة، وللأصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب، فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقياً على فراش الموت (تمامي؟) يريد هل العدد تام قليل له نعم ياسيدي تام، فاخرج الختم من كيسه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا !! ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المنظرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفاً، ويويل لعمال الخزنة ان لم يدفعوها — وفريق يتضور جوعاً وهو ينتظر رواتبه المتراكمة دينا عند



## ٨٤٨ سقوط هيئة الحكومة في بلادها وفي خارجها (المنار ج ١١ م ١١)

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يعول عليها في الاتفاق على نفسه وعياله النفقة الضرورية ، وكان ضباط المساكر مظلومين أكثر من سواهم فكانت روايتهم وتأميناتهم على قتلها - لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرتشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يثقب في قلب الانسان ثقباً وعملاً حقدًا »

### سقوط هيئة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الادارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا أصولاً مرجعية لافي سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وانما اصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الامس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الاشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية فتجرأ على تهديدها حتى في المسائل الحقة كسألة تونسي دلوران دو التي اوجبت خروج الاسطول الفرنسي الى جزيرة مدالي (متاين) ، فصرخ إذ ذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنسي قائلاً : « هذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحرروا ساكني المذابح الارمنية ولم تتدخلوا فيما توجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية » ، والآن تكبدون النفقات باحراق فحم الامة وارسال الاسطول لحماية نفرين من المرايين اقترضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضاً في نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأنفون ان يكونوا من رعيها ، فكانوا يتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، وبعضهم استبدل التابعة الاجنبية بالتابعة العثمانية .

كان أرباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعين الاسف والاستياء ويعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الامة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب للمدحت باشا وان لم يكن كله من بنات افكاره . فكان الاستبداد ضاعطاً على جميع افراد

## (المنار ج ١١م ١١) نهاية الضغط . جمال الدين . اتحاد الارمن والترك ١٨٤٩

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفائها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقرين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لفقدا النكاح أو للختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مريضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص واردة سنية لحركاتهم الشخصية وافعالهم اليتية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العامر) فقال: اية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتيت أكلة بفتك (شواء) أو نشر فكري جريدة أو التنزه في ناحية من المدينة لا استطيع . أيتها عيش الانسان بغير الحرية اوهذا فرالى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفرالى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

### اتحاد الارمن والترك في طاب الحرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثائرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوافيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، ثم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قاقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غاليزين للارمن التابعين لروسيا وتسلط التتر المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذابح باكو وفضائنها وعدة وقائع ومقاتلات وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط

(المنار ج ١١) (١٠٧) (المجلد الحادي عشر)

## ٨٥٠ مؤتمر العثمانيين . اتفاهم فيه على اسس الاصلاح ( المئارج ١١م ١١ )

الذين سبوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، قتل بليف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديزقانه كلفهم خسائر جسيمة ، فمدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفتاة فعددت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان اخندي الارمني الشهير وقد تم اتفاهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاضرة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع وعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلاية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المستبدة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفلت المدارس وحجست المعلمين ونفت التلاميذ ، وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس اتقصت التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التحريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعذالة لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة والعمران ، بل على الجواسيس والجرائد المويذة للظلمة المحبذة لاعمالهم ولاسيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لايهام الناس ومخادعة أوربا عن احوال الممالك العثمانية .

فمنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ ثذاكر الجواز ( Passes-port ) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وفقدان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراهبة وفقدان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المدينيات السابقة خرابا ، وأراضيها قفرا بلقعا ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا ، ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالمهاجرة والقحط أكمل العمل الذي بدئ بالمذابح واتبع الخراب للبلاد وخلوها من السكان . فجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الاقلاب



## ( المارچ ١١م ١١ ) جمعة الاتحاد والترقي . نهضتها وانتشارها ٨٥١

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية وتوقيف انحطاطها - تلك خلاصة المذكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

### نهضة جمعية الاتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في أوروبا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وفارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيرها من المنشورات وكان الدكتور نظمي بك السلانيكي الأصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعابها أرباب السياسة ولم يعتدوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخويف المايين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك معاندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، مفضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تدخلت الدول الأوروبية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناسير وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادارتها تحقيقا لرغبة أوروبا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم . وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميتة ( Comité ) فسموا الداخل فيها ( كوميتة جي ) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميتة الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم وادعاهم ، وكانوا يبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف . وكانت الحكومة المحلية تهابهم وتلاطفهم وتستطيع رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والارناؤوط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلالاً كاملاً ، حيثما كنا ، كما كنا ، العرب ، الحما ، الاسد ، الهل ، الهل ،



## ٨٥٢ جمعية الاتحاد والترقي . نموها . الأمير صباح الدين . سياسته ( المارچ ١١م ١١ )

والبوسنة والمهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقي في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقسم على ضمير يراد به إلا الإذلال غير الحي والوتد  
 ما لنا لا نفعل كالروم والبلغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه؟  
 ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابهم بأن الإسلام يساعد ويحض على ذلك ،  
 ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الاتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ،  
 عارفين بما ينتجهم من الفوائد المادية والمعنوية ، فتشكل لهذه الجمعية مركز  
 في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، ولقد بلغ  
 عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون  
 لا يدرون من أمرهم شيئا ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة  
 يعتقدون بأنه سيصيب بلادهم ما أصاب كريد وولاية الرومي الشرقية والبوسنة  
 والمهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على  
 التظاهر بذلك .

### الامير صباح الدين وسياسته

اكتب الأمير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده  
 فاستنار فكره ، وجنح للحرية والاختار بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا  
 يعرف بحزب ( المشروطية وعدم المركزية مع التثبيت الشخصي ) ولسان حال الحزب  
 جريدة ( ترقى ) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك  
 كاتب الجمعية . فعلم المركزية ( Décentralisation ) يقسم إلى قسمين عدم مركزية  
 سياسية مثل مستعمرة كندا الأمريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو  
 عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية  
 فيها كما أشير إليه في المادة ( ١٠٨ ) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا  
 فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان  
 ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

## (المارچ ١١ م ١١) الدولة . نهاية الفساد والخراب في أحوالها ٨٥٣

حسن بك . فمراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتثبث الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشهم حتى لا يكونوا مستظرين تيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائماً الاعانة من أسرهم والأسر من أر باب مجالسهم وأر باب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة اللاتقة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

### نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتعمد تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الازهان كدر من الامس وخوف من الغد ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ونفرة زائدة وبغض وحقد كامنان في النفوس ، وعلم المقر بون انهم على وشك الانقراض ، فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قهالكو على ادخار الاموال واقتناء العقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور باوأم يكاء وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فناوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستماتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعلم ، ومنحو الراحة من الخدمة العسكرية هم ومن انتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا انصب الانعام على فرد أو أسرة انهم كالفيت المتواصل وانصب

## ٨٥٤ الاعتماد على أوقاف الجوامع . توقع الانقلاب ( المارچ ١٩١١م )

كله في ذرع ذاك الفرد أو الأسرة دون أن يفيض منه شيء على المزارع المجاورة ، ولهذا قال أحد الفضلاء :

أمر المؤمنين فذلك نفسي ونفس ( أبي الضلال ) لها فداء  
أنهيه وقتلنا جميعاً لعمرك إن ذا هو البلاء  
فلا والله ما هذا بمعدل ولكن انت تفصل ما نشاء

واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل ضبطوها ضبطاً بلا حكر ، وباعروا امتيازات الأمور النافعة للأجانب فأضرروا الدولة بذلك أضراراً جمة ، وشرهت نفوسهم العجب وتلصقت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع المزايا الإنسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقترس ، ينقلب يوم سقوطه وإبعاده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من أفعال فهم باشا وهو منفي إلى بروسه الذي أهلكه الأهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كنّا أشرنا إلى هذه الحالات المنكرة المذكورة ، وإلى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها ( ٥١٧ ) الصادر في ١٥ تموز ( يوليو ) سنة ١٩٠٣ بعد أن بدّل المراقب فيها وحرف كما أراد ، ظناً منه أنها تخفى وراءها خفيّة على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الاستانة واطلع عليها الملدوغون صدر الأمر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الاستياء تنفجر منه فوهات في عدة جهات ، لأن بقاء الحال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً وأن البلاد العثمانية متوسطة بين أوروبا والشرق الأوسط والاقصى . ومما زاد اختلاطاً بالعالم المتمدّن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الأجنبية على شواطئنا ، ومشاهدتنا صور السينماتوغراف وسماعنا أصوات الفونوغراف ، وركوبنا الترام الكهربائي والحوافل والدراجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الأمم وامتزاجها ، وأصبحت المسافة بين الاستانة وباريس أقل من ستين ساعة بعد أن كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية ، أو في المدارس الأجنبية التي افتتحها الأوربيون والامم يكون في الشرق وغهم منهم الحكومة

## (المنارج ١١م ١١) حدوث الانقلاب . كيد الجواسيس ٨٥٥

المسلمين من دخولها والتضييق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك، أو في المدارس الخصوصية التي استسها طوائف الروم والآرمن واليهود والبلغار، فعملت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الأجنبية، وطالعوا الجرائد والكتب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة، وادركوا محل الخلل، وصار يتخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم منشعبون بفكر الحرية ومتخفون بالآخلاق الآورية والحاسة الوطنية. فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجهال المستبدين بالامر، فضيّقوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهادات كثيرة شتى كالنفي والحبس والمراقبة ودمور المنازل وتفتيش الأوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين،

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز (يوليو) وانفجر في سلايك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحزب تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مستأون حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الحال الماضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما اغتصبوه من الاموال لان كلا منهم كان يتطلب اكثر مما ناله، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكن اذ ذاك مدهشا دمويا

### انفجار بركان الحرية وحدث الانقلاب في ٢٤ تموز

تسنى لجمعية الاتحاد والترقي العثمانية في سلايك اخفاء أمرها مدة ولكن رأتحتها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاختفاء، فاحس بها جواسيس سلايك وبعثوا بتقاريرهم إلى المايين، فأرسلت الجواسيس من الاستانة فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن، وعينت فدائيين من اعضائها بالقرعة أو بالتراضي

وكان القائم نام ناظم بك قومندان مركز سلايك يبذل مجهوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذاك الى الاستانة لمرض معلوماته، ورجع منها ناثلاً لفي قرش ضمنا على راتبه فزاد اجتهاده وتحريره، وطلب ثانية الى الاستانة ويتما كان على



## ٨٥٦ فشل الجواسيس - نجاح الاحرار ( المارچ ١١م ١١ )

أهبة السفر اذ فوجي بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلايك صادق باشا وماهر باشا وأمير اللواء يوسف باشا وبعض الياوريه وعدة من موظفي الملكية، ونظموا دقرا باسماء كثيرين من المتهمين بعصوية الجمعية، وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم، فقام في مناسر صلاح الدين بك قائمقام اركان حرب واليكباشي نيازي بك الارناؤطي بتشكيل فرقة من العساكر الوطنية وذهبوا للاحية (رسنه) وهي في الغرب الشمالي من مدينة مناسر على مسافة ثلاثين كيلومترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البكباشي صهر ناظم بك قومندان سلايك وكان طلب الى الاستانة ووعد بمكافأة كبيرة ولكنه اختار نفع وطنه على منفعة الذاتيه

ثم قتل في سلايك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلعا عظيما وطلبت مفتي الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش !! وبينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير، وهرب الجراح من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسنه) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (مترويجه) فاختر من يعتمد عليهم من الضباط وتابورا من العساكر وحضر على القطار الى سلايك ومنها الى مناسر وذهب تو الى إدارة التلغراف لخبرة الماين، فخرج عليه أحد الضباط وقتله، وامتنع من معه من الضباط والعساكر عن الزحف على (رسنه) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من عساكر الاناضول. ولما وصل منهم إلى سلايك الثلاثة تواير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم أيضا، فأحس الماين بأن سوق عسكر الاناضول الى الروملي إنماء لقوة الجمعية فأوقف ارسال بقية عساكر الاناضول الى سلايك. ثم اجتمع في (فيرزو بك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلايك

## ( المار ج ١١ م ١١ ) اعلان الحرية بسلانيك . خلاصة أسباب الاقلاب ١٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات مختومة بمختم الجمعية أي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تدعوهم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يتمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أولمبيوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلانيك وضح الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طنّف (بلكون) فندق ( أولمبيوس بلاس ) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية ( الاسبانية ) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك نجيب محرر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المحصورة ( فوق العادة ) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فلتحي الامة » فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانقام المرسلية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé

وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قاتلك أي أهل وطن شان كونلري كلدي » وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حلي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدر الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

### الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسفك دماء

حدث الاقلاب العثماني بلاسفك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

( ١ ) المار : هذا البيت من أبيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالمرية ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد واني

( المار ج ١١ ) ( ١٠٨ ) ( المجلد الحادي عشر )

## ٨٥٨ خلاصة أسباب الاقلاب (النازج ١١ م ١١)

المملكة كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنسيين والامريكان والمجر والروس وغيرهم، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة : « لا تبت الحرية ما لم تسق بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسميها الافرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالأقلاب لم يضع حقوق السلطنة والخلافة كما ضيع اقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الآلهية ١١١١ حتى اتصروا فريق من الناس وقاتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات اصنف من اصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف والرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الاقلاب الفرنسي وحرهم من حقهم المشروع على زعمهم واعتقادهم ، أما الاقلاب العثماني فلم يضع لاحد حقاً فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بككر «\*») المعروفين عند الافرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة ألغيت بعد التثكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطى لاصحاب هذه الحقوق ضماناً ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيراً قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضماً وترتيباً كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والضيع وغير المسلمين « لم مالنا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(\*) النازج : يراد بكلمة (دره بككر) في التركية اصحاب الزعامة والنفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الاناطول فان السلطة والنفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

## (النازج ١١م ١١) خلاصة أسباب الانقلاب . الفضل في حدوثه للإسلام ٨٥٩

الفتح للروم وأقرّهم عليها والامتيازات الأجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الأجانب تفضلاً منهم وإحساناً لا يجرى عليه فسيجري الاتفاق عليها بصورة حية يرضى بها الجميع .

(٣) ان الأفراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الأمة والدولة بالباطل ، كما يعترف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وقائده ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم بالمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعد على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الأمة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لم يحق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الأمة ان تلقي على قارعة الطريق جماغيروا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعياهم غير ما كانوا ينقدونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضا في حق الظالمين لئلا تتم سعادة الأمة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلق في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة ( Réaction ) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تجعلهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اهـ



٨٦٠ مجلس المبعوثان . خُطب صاحب المنار بافتتاحه ( المنارج ١١ م ١١ )

## افتتاح مجلس المبعوثان

❖ ثلاث خطب ارتجالية في الاحتفال به ❖

بطرابلس الشام ❖

خلاصة الخطبة الاولى في ميدان التل

أيها الامة العثمانية الكريمة

أهنتك بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين وانني  
لاهنئك بأمر عظيم ، أهنتك بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول  
في في ، وأجبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار يصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم  
تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .  
يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجمع العظيم الذي  
يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده ببعض بقوانين ومصالح مشتركة .  
فالاجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المؤلفة من جماعات بعضها أكبر  
من بعض أدناها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي  
منتهى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا  
عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

( \* ) احتفل بطرابلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤  
ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيئتي  
الحكومة الملكية والعسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام  
الهيئتين ثم في نادي جمعية الاتحاد والترقي وهذه خلاصة ما قال

## (المراجع ١١م) حظر الاجتماعات . زوال الاستبداد . حكم الامة لنفسها ٨٦١

الاجتماع حتى في الاسرة فقد صار الأب يهرب من ابنه والابن ينفر من أبيه والاخ يفر من أخيه خوفا من تجسس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والمآتم مخوفا ومهددا في دار السلطنة !! منع الاستبداد الماضي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة « المحاضر » وفرض عليهم ان يشكوا منفردين وان كان ما يشكون منه مشتركا بل منع شهادة التواتر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالافراد الذين يمنعون من أصغر أنواع الاجتماع ويهددون بالعقاب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرق أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد تحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارتهما الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكام العاملين فهذا الاجتماع تحقق تكوين الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العام لجميع العثمانيين فان ما عداه من الاعياد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الاديان والمذاهب ، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردى والارمنى ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثما كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به مجتمعين متمزجا بعضهم بعض لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالا من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمراء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة متمزجين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر أصناف الامة من الزراع والصناع والتجار والعمال وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم اتى أهني الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنفيذها فيقروا ما يشاؤون ويغيروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من المتصرف الخ

## ٨٦٢ حكم الأمة لنفسها . خطبة صاحب المنار بنادي الجامعة العثمانية ( المارچ ١١م ١١ )

ما يشاؤون لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يعيدوا انتخابهم ، وإنما كان هذا من الأمة فهي التي أنابتهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الأعلى وجميع الأحكام من أعلامها إلى أذنانهم مستأجرون لها بما لها لاجل ان يقوموا بما لا بد لها منه ولا غناء عنه من المصالح العمومية ملتزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الأمة هذا الشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح لها ان تقول ولا ان تفعل الا ما يدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الأمة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها وانتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كحلاقة الدولة مع الدول الأجنبية وليس منه ما رأيناه من تجمر بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة لإلزام بعض الأحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين الفوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق نوابنا إلى ما فيه خير الملة والأمة .

\*\*\*

### خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة العثمانية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الأمة ودوام الدستور : سمعت كثيرا من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسوئي من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيرة وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكفله ان يفشل أو يصيبه كيد الكائدين ، ويظفر بمراده حزب المستبدين المتقهقرين ، ويسوئي بما يظهر من فحوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتغليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من اللسان متدققا عن القلوب ،

## (التاريخ ١١م ١١) مجلس المبعوثان الأول الفرق بينه وبين المجلس اليوم ٨٦٣

اتني أدعو مع الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويجعل النهاية خيرا من البداية فأننا لا نستغني عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، ولست أرى للخوف محلاً بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الامة الاول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملأ ، بل كان برداً وسلاماً

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جداً ، ان ذلك المجلس لم يكن بسمي الامة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا ابي الحرية وبعض اخوانه الوزراء والكبراء فهم الذين وضعوا القانون الاساسي ، وبسعيهم ألزموا السلطات بقبوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منعداً ، وفرق ما كان مجتمعا ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من ابطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الامة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه ويعضده ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقى اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندوبه: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا متصرفين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؟ انها هددت المبعوثين ذوي الجرأة وأندرتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة ، فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من بقائهم ان يحدثوا هنالك تألياً للناس ويحملوهم على المطالبة ببقاء مجلس الامة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الامة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما

أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواماً بأقوام ، فقد نلتنا الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسعي احرار الامة النابغين ، ومساعدة الجند وضباطه المستنيرين ،

(١) كلمة تركية معناها : نعم ياسيدي



## ٨٦٤ الجيش العثماني . الثقة ببقاء الدستور (المنار ١١م ١١)

لابسعي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيبهم ما أصاب مدحت باشا واخوانه من نفي واغتيال فيذهب الدستور ومجلس الامة ويموتان بموتهم. كلا إن من ورائهما ذلك الجند الباسل الذي ساعد احرار الامة على نيل هذه الرغبة ولولاه لم نصل الى هذه النعمة من غير خطر على الدولة والامة ، ومن ورائهما احرارنا المنبثون في جميع الولايات العثمانية ينفخون روح الدستور فيها

تشهد أم أوروبا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدها بأسا وثباتا في ميادين الجلال حتى قال الجنرال مولتك القائد الالماني الشهير الذي نكل ذلك التكيل بالفرنسيس : اعطوني مئة ألف جندي عثماني افتح بهم أوروبا كلها. ولكنهم كانوا يقولون ان هذا الجيش الباسل ينقصه الضباط والقواد العارفون الصادقون . والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم وبرزوا أعلى التربية وهم الذين كانت تطاردهم السلطة المستبدة الماضية خوفاً أن يقضوا على استبدادها حتى شئت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون ومنهم الهاربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح الله البلاد العثمانية من شرها فهل نخاف اليوم على مجلس الامة وقد عاد أولئك الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا الى اخوانهم العاملين في الجيش وكل منهم يفدي الدستور ومجلس الامة بروحه ويذلل دونها آخر نقطة من دمه ؟ كلا ان العارف بحال الدولة والجيش وبما أته جمعية الاتحاد والترقي من الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الامة لا يخالج صدره أدنى خوف على المجلس في هذا اليوم وإنما كنا نخاف على الدولة في دور الانقلاب من الخارج ، كنا نخاف ان تقوم في وجهنا أوروبا فتفسد علينا عملنا وتضطرنا الى الدخول في حرب لا تؤمن عاقبتها ، أما وقد لقينا من الدول الاجنبية ميلا وانعطافا عظيمين الا ما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك الى أملاكها ومن إعلان البلغار الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة ولله الحمد والمنة ، بل رأت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الامة العثمانية ما جعلها تندم على ما فعلت وتود إرضاء الدولة الهلية

## (المنار ج ١١) اقلاقل . إمكان منها . مجلس المبعوثان . أعضاؤه ٨٦٥

أما المشاغب الداخلية التي يحررها في بعض الولايات انصار الاستبداد من حزب التمهق كالعراق والشام والحجاز فلا خوف منها ولا خطر فاذا قام مثل طالب الرفاعي ، يثير حربه من أكلة الافاعي ، ليفسدوا في الارض ويؤلبوا الاشقياء في ولاية البصرة على الدولة فان قيامه هذا لا تأثير له ، ولا يمجز الحكومة الحرة استئصاله ، فان لديها من الرجال من يأكلون أكلة الافاعي ، فلا يمجزهم التنكيل بهذا الرفاعي ، كما نكلوا قبله بذلك الشقي الكردي ، فسيحبط عمل المفسدين ويستقر الامن في جميع الولايات العثمانية عن قريب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من يخاف ان يفشل مجلس الامة ويمجز المبعوثون عن القيام بما نيظ بهم وعهد اليهم من مصالح الدولة والامة ، وانتي أصبح بأعلا صوتي ان هذا الخوف في غير محله أيضا . ان المجلس السابق على ما كان عليه من الضعف وما قبل من ان جميع أعضائه أرادوا ان يكونوا من حزب الحكومة حتى لقبوا بكلمة «أوت أفندم» لخضوعهم لما يراود منهم - على هذا كله قد ظهر من بعضهم أفكار وآراء حسنة واستقلال يرجى خيره لودام فكيف يكون مجلسنا اليوم وقد ارتقت الامة بالنسبة الى زمن المجلس الاول في الاستعداد والمعارف والافكار بالرغم من اضطهاد الحكومة الاستبدادية للعلم والحرية حتى انها بنوع الكثيرين من رجالها قد انتصرت على الاستبداد وهو - كما قال الاستاذ الامام - في عفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أيّ عبيد

نعم ان مجلسنا الذي نحتفل بافتتاحه اليوم مؤلف من طائفة من الاحرار المتطرفين وطائفة من المحافظين الجامدين ، وفيه عدد قليل من المعتدلين ، وكثير من رجال العلم والدين ، وانني أرجو - كما يرجو كثير من محبي الاعتدال - ان يكون تأليفه من هذه الطبقات المختلفة التي تمثل الامة كلها أقرب الى النفع وأبعد عن الخطر فاني أعرف كثيرا من احرارنا المتطرفين يميلون الى العجلة في الاصلاح ، وقد يكون من المستعجل الزلل ، ومن تأني نال ماتمى ، والعجلة في طور الانتقال من حال الى حال لا تخلو من خطر أو ضرر فان خاب الامل ( لا سبح الله ) وضعف المجلس عن الاصلاح المطلوب

(المنار ج ١١) (١٠٩) (المجلد الحادي عشر)

## ٨٦٦ جمعية الاتحاد كفالتها الدستور: خطبة صاحب المنار في ناديها (المنار ج ١١ م ١١)

الآن فان جمعية الاتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالة الدستور تسمى عند الانتخاب الثاني أو تجتهد في جعل جميع الاعضاء أو أكثرهم من نابغي الأمة ونحمد الله ان في أمتنا من النابغين ، من يشهد لهم بالفضل والعرفان ساسة الاوربيين ، ناهيك بأولئك الكرام الذين احدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي ادهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال من الخطأ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الأمة في زمن قريب فان التدرج سنة الهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطلبها العقلاء ، وإننا واقفون — مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه — بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ، ما تقتضيه مصلحة الأمة في حالها الحاضرة ، آمين

\*\*\*

### خلاصة الخطبة الثالثة في نادي جمعية الاتحاد

انا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للأمة العثمانية أكبر عيد ، كانت أسباب سرورنا في الاشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سرورنا منذ اعلن الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نؤخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا نستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلاً أو نهاراً للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالاوراق الضارة أو « المظرة » ، سرورنا بأننا صرنا أحراراً لا يمنعنا أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الاعمال ، سرورنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالاً لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتقه أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا — كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور منذ أعلن الى اليوم معناها سلبي تفسر بلا لا لا

في هذا اليوم بتبدى المنافع الايجابية فقد اجتمع وكلاء الأمة الذين أنابهم

## (المنار ج ١١ م ١١) واجبات الامة وواجبات الحكومة ٨٦٧

عنها للقيام بما يبرز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا نتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينبغي ويزيد مع الايام والسنين الى آخر الدهر ، اتنا نهنيء أنفسنا بأن الامة قد صارت منذ اليوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؛ يجب أن تُعنى بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متحلية بالمعارف والاخلاق التي تعزز بها الامم بأن تحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلا لان يختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه وتوجه اليه هو أن تتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا نتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم منا عون ومساعد على ذلك ، وأن تتولى نحن سائر الامور التي تحتاج اليها الامة كثرية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن نتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمد لهم خطوط الحديد ، وان اتكالم الامة على الحكومة في كل الامور العامة صار منذ اليوم من التناقض أو مما يستلزم التناقض ، فينا هي نفتخر بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لامورها اذا هي تبرا من كل عمل لها وتلذذ به بالحكومة لزا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم بما لها للقيام بأعمال مخصوصة لا تستقي الهيئة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارهم لذلك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الأمرين !!!

انما فشل مجلس المبعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافلة له ولا عارفة قيمته ، ولم يكن المرحوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا



## ٨٦٨ تربية الامة . كفالتها بقاء الدستور . التربية والتعليم . وجوبهما (المنارج ١١م ١١)

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي يثبت ويدوم إنما يكون بتربية الامة وتعليمها حتى تصبح أمة دستورية بالطبع لا قبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطعة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامعة ممتدة اليها ، وبرائتها ناشبة باطراف جسمها ، فغرموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعملوا ماعملوا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي . ولا يشك عاقل في كون الاصلاح اذا جاء من جانب الحكومة ، يكون أسرع من مجيئه من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المنال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل المحال ،

ان الإصلاح في الأئم لا يأتي الا بالتدريج وهو انما يكون أولا بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الام الحية العزيزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طائفة بعد طائفة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويحجي الجيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسميه ( الدافور ) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراءه . ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت باشا وإخوانه من قبيل ( الدافور ) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه هممتنا وعنايتنا اليه ، ونعول في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكثران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قلبوا لنا الحال ، وولنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الواقفين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك . وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشعور بسوء حال الدولة وبما ينذر بها من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى ان الصائح بكلمة الدعاء

## ( المار ج ١١م ١١ ) وجوب اعتماد الامة على نفسها . قيامها بذلك بالجمعيات ٨٦٩

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة « بادشاهم جوق يشا » ففتح التلاميذ أفواههم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يملأ جوها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور المحزن فعمد ألسنتهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم نجتهد في تعميم التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا أمثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لا يكون لهم خلف وما الموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم ينتجوا ويحيي بعدهم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الأمة فان التاج والتماء هما ثمرة الحياة والمقصد منها

يوجد في أكثر الولايات بل البلاد العثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار العصرية ، ومعرفة طرق ترقى الامم والغيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الامة ان تقدروهم قدرهم وأن تستعين بهم على ما ينبغي لها في هذا الطور الجديد لست أعني باعتماد الامة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لا تبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الامة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الامة جميع ما يحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الامة نفسها

كيف تقوم الامة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هلم أعلمك ؟ لا لا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترتق أمة فيه بغير الجمعيات ، وحسبكم ان بعض الجمعيات عندنا قد اسقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأني برهان أقيم لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بكركه بألسنتكم

لا ينتشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الامور العامة الا بالجمعيات فعلينا ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئنا المدارس والكتاتيب ، وان نعزدها بأموالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي نعتز بها الامة

ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي

## ٨٧٠ العراق خصبه في الماضي وموته الآن . الحرية . فوائدها ( المارچ ١١م ١١ )

كان يضطهد العلم ويؤيد الجهل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده أكثر فائدة وانمي زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء ، وإن في بلادنا ما هو أخصب من أرض مصر تربة كأراضي الجزيرة بين النهرين ( دجلة والفرات ) التي قال هيرودس أبو التاريخ انها كانت تؤتي غلتها من مئة ضعف الى مئتي ضعف أي ان الشنبل ( كالاردب ) من القمح كان ينفل لصاحبه مئتي شنبل . أيجوز ان تبقى هذه الارض التي لا نظير لها خرابا لا ينتفع منها بشيء ؟ \*

حسبنا من نعمة الدستور اننا صرنا احرار لا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستغل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سقم من بعض الخطباء كلاما في الحرية فمن لي في هذا المقام أن ازيد شيئا وجيزا على ما قالوا فان المجال ذوسمة

الحرية تقابل الرق والعبودية فمعنى كوننا صرنا احرار اننا كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو اننا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادرا على ان يمنعنا من التصرف في انفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزا عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل ان نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والاعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا ان نخرج من المضيق الحيوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه ان يجعلنا رعية ويكون لنا كالراعي للبهائم ، صار يمكننا ان نكون اناسي وبشرا يتمتعون بمزايا البشر . يقول العارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري ان استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فانه يمكن ان يكون ارتقاؤهم فيها متصلا ومستمرا ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حفاة عراة في صحاري أفريقية وجبالها وفي بعض جزائر المحيط و بين هؤلاء الذين

\* ( ذكرت لم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاوبان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعا باستبداده فقال له انه ذكر يخطب أثني فسأله ان يهرها بضعة خربة فقال لها انني أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضيعة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندما بحيث تصير أرض الجزيرة هرا للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي ينقل من الخارج



(المناج ١١م ١١) المدنية . استعداد الشرقيين لها . معاكسة السلطة لهم . الحرية ٨٧١

يخاطب بعضهم بعضاً بالقول والكتابة بواسطة الأسلاك الكهربية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم ونتائج المدنية الغربية ما وصل أهل المدنية العالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إليه من العزة والكرامة إلا بإطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج الكمال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الظليل وحماية الدستور العادل

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استعداداً للعلوم والأعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تغطي نور فطرتنا ونحجز على استعدادنا فلا تسمح لنا أن نظهر أسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا أن نتمتع بما سمح لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : ( هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ) وقال تعالى ( وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً )

كان العالم منا إذا أراد أن يؤلف كتاباً نافعا قال نذير الاستبداد إياك أن تفعل فإن مولانا لا يريد ذلك ، وإذا حدثت بحب الفلسفة نفسه بأن يحل إشكالا ناجاه منه الاستبداد في سره إياك أن تفعل فإن مولانا لا يحب ذلك ، وإذا خطر في بال أحد أن يبحث في أسرار الخليقة ليخترع شيئاً ينفع الأمة اسرّ له رسول الاستبداد : إياك أن تفعل فإن مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على إظهار أثر علمي أو عملي برقي الأمة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الا وجد الاستبداد له بالمرصاد ، وناله منه ما تعلمون من الاضطهاد ،

فالحرية هي تحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشراً ، لا غنماً ولا بقراً ، فالارتفاع من الحرية يجب أن يكون بتوجيه الاستعداد الانساني إلى العلوم والأعمال التي ترقى بها الأمة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا باتباع الشهوات ، واتباع الفواحش والمنكرات ، ولهذا كانت الحكما ومحبو الإنسانية ينشدون الحرية ، ويبدلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم ، ولا غرو فهم العالمون بالأسرار الالهية ، المودعة في الفرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر إلا في دائرة الحرية ،



## ٨٧٢ المساواة . كونها في الحقوق لا في المواهب ( المارج ١١م ١١ )

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في بيانها الخطباء فأحب أن أزيد عليهم كلمة في إزالة شبهة للناس فيها : يظن بعض الناس ان الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من الحلال الذي لا ينال بالدستور ولا بغيره وإنما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — فالقني والفقير ، والصملوك والأمير ، والعالم والجاهل ، والنبية والخامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد ان يعتدي على أحد في نفسه ، ولا ماله ولا يراعي الحاكم أحدا منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والفرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من الخلق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والثياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والاخلاق ، هو الذي مكنهم من القيام بما ترون من الآثار والاعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا يد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن الوقادين لوضعه في النار وهذان العمال من أشق الاعمال وأصعبها . أفرايتم من كان مستهدا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل تتوجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يقدفه في النار ؟ أو تتوجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وإنما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعميم التربية والتعليم ، فسنأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

## إصلاح التعليم الديني في الاستانة

### ﴿ إصلاح التعليم الديني في الاستانة ﴾

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الاستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الاستانة ان طلبهم قد أجيب :

- ١ — تدريس التفسير الشريف بتقرير معاني القرآن الحكيم الظاهرة وأسباب نزوله وبيان الناسخ والمنسوخ وتطبيق ذلك على القوانين الفلسفية
- ٢ — تدريس الحديث الشريف وان تكون مدة تدريس البخاري أربع سنين
- ٣ — تدريس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانيد
- ٤ — تدريس أصول الفقه وبيان قواعده الكلية وتقرير تعاليمه وفرعاته وتدريس الفروق في القواعد والأصول بين المذاهب الأربعة
- ٥ — تدريس الفقه مع بيان القواعد الفقهية والفروع ، وماخذ ذلك من الأدلة الشرعية الأربعة مع إيضاح الحكمة الشرعية في ذلك وفلسفة الأحكام
- ٦ — تدريس التاريخ الاسلامي
- ٧ — تدريس تواريخ الأديان المشهورة
- ٨ — تدريس السيرة النبوية بالتفصيل
- ٩ — تدريس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدريس التوحيد القديمة ويلقى علم التوحيد إلقاءً عملياً يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الألوف من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به
- ١٠ — تدريس الدين الاسلامي وبقية الأديان : وذلك بتدريس المقاييس بين أصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الأديان وقواعدها

## ٨٧٤ رحلة صاحب المنار في سوريا - القلمون ( المخرج ١١م ١١ )

- ١١ - تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
- ١٢ - تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
- ١٣ - تدريس الحكمة والفلسفة على الطريقة الجديدة
- ١٤ - تدريس علم الاخلاق نظرياً وعملياً
- ١٥ - تدريس علم الروح
- ١٦ - تدريس التاريخ العام
- ١٧ - تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
- ١٨ - ايضاح تشبث المسيحيين ولاسيما البروتستانت بنشر دينهم وأساليبه
- ١٩ - تعليملقاء المواعظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

# باب الحبيب الأبي

## رحلة صاحب المنار في سوريا

( ٢ )

### القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعاً زارني في أثناءه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستمعونني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر أفرادهم من الشبان والكهول والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلثه ونصفه بين القلمون وطرابلس، وأكثره من الشيوخ والنساء والأطفال والمسافة كلها ساعة ونصف كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطلقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم أن يكفوا عن ذلك فامتلأوا خفي إذا ما وصلنا إلى الموضع المعروف بأبي حلقة الفينا فيه نفرا من شبان طرابلس

(المناج ١١م ١١) أهل القلمون . احتفاؤهم بصاحب المنار . سبب تسميهم ٨٧٥

فصيوناً بإطلاق البارود والرصاص في الهواء فأجابهم من معنا بمثل تحيتهم بل بأحسن منها فلم أنكر عليهم ذلك لملي بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا . وكذلك فعلوا عند ما شرفوا من راية «ظهر الرويات» على القلمون لا يزالان من بقي فيها بقدمنا وعند ما وصلنا إلى دارنا أيضاً لأنه من قبيل سلام المفارقة . وقد ذكرت هذا لأنه من العادات التي لم أكن أعرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في معناه وكان من حفاوة أهل القلمون بي أن يحمل بعض نساءها بحمار العود الهندي وغيره من البخور أمامي من طرابلس إلى القلمون وكان فيمن خرج للقاء بمن بقي فيها من يحمل الحمار أيضاً . وقد راعني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من بنين وبنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتعسفون الطريق ويتسلقون الروابي بين الأشواك والحجارة ، تبعوا في ذلك آباءهم وأمهاتهم وأخوتهم وأخواتهم وكان النساء يغنين ويغرندن ولهن في ذلك أغاني مناسبة للمقام ، وهذه العادة قديمة عند نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب أن النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن يضربن بالدفوف وينشدن الأناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج للقائنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسعين وعشر المئة من السن وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى إلى طرابلس أكثر من واحد من هؤلاء المعمرين . وأهل القلمون يعمرن لا اعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم الدائمة بالعمل في الأرض مع جودة الهواء والماء فالخمر لا تدخل القلمون ولا يشربها أحد من أهلها والفاحشة غير معروفة فيها ولله الحمد والمنة ، وهاتان الكيرتان هما افتك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلاً من هؤلاء الشيوخ ( هو الحاج علي طوط ) عن سنة فقال : أربع وسبعون سنة . وهو يواظب على صلاة الفجر في المسجد غلساً وربما يجيئه قبل



## ٨٧٦ القلامنة . معمرهم . بعدهم عن المعاصي والبدع ( المئارج ١١ م ١١ )

طلوع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كذه الايام . ويمشي عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلاً آخر ( هو السيد عبد القادر علي ) عن سنة فقال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها انه كان ملاحاً في البحر فجاءه مرة علي طوط ليميل معه عمل البحر فلم يقبله لانه صغير لا يستطيع ان يحرك المجذاف . فالظاهر من هذا انه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الاولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويعمل في أرضه بالعزق وشييه غير تام . فليعتبر بهذا بعض الشبان والكهول المتفرجين في مصر وغيرها الذين يزين لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولوعقلوا لعلوا ان البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى ان أكثرهم ليتناول الادوية والعقاقير والمياه المعدنية لاجل إصلاح المعدة والمعى وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فماذا تراهم يفعلون إن شاخوا ؟ على انه قلما يشيخ منهم أحد !

ومما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين ان أهل القلمون كانوا يهذي يتنا أبعد مسلمي بلادنا عن البدع كما انهم أبعدهم عن المعاصي . ولما انتهى دور الارشاد فيهم إلي رأيت عندهم من البدع انهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصيباتي الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الأمهات وثانيهما قبر بني حديثا عند عليقة على شاطئ البحر وكانوا ير بطون بهذه العليقة خرقا صغيرة يقطعونها من ثيابهم الخليفة يسمونها آثارا لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذلك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهارهم وأعظمهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالا وصار من يزور القبور منهم يكتب بالسلام على الموتى والدعاء لهم والتفكير في الموت والآخرة كما هو المأثور وكان أكثر النساء من غير أسرتنا تاركات للصلاة وجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجعلت لهن مكاناً أعظمن وأعلمهن به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكن أسرع امتثالاً من الرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت اختلف اليهم في بيوتهم وأذكر انه استعصى واحد من البلاد الخاملين فأمرت الشبان فسحبوه

## (المنار ج ١١ م ١١) أهل القلمون . غاية صاحب المنار بتعليمهم ٨٧٧

سجبا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فاكتفيت منه بوعده مكذوب . وكان فيها رجال يسرقون الثمرات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، وكان عمدتي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متفقهون في دينهم يستحضرون مالا يستحضره كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصيادين على هذا تركت القلمون عند ما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهد الزاهدين ، وبقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المعتبر الشيخ عبد الباقي الافغاني رحمه الله تعالى : لو بقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا . قال هذا عندما ذكر سفرى له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لإرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ، ولما عدت إليها في هذه الايام علمت انه قد قن كثير من أهلها قتركوا الصلاة واتصل بعضهم بالذين اعتدوا على يتنا من أشقياء طرابلس فأغرامهم هؤلاء بقطع الاشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة . أغروهم بالمال وغروهم بأنهم بحمونهم من الحكومة وإن سلبوا ونهبوا وضربوا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب بيتنا ، وتقطيع الاشجار من بعض بسايتنا وكرومنا ، ونحمد الله ان كان هؤلاء المغرورون قليلين ، وأن كان أكثر الأهالي لهم ولمضليهم من الكارهين ، ونحمده أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثال الهداية والدين في نفوسهم قد صغر وتضاءل في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خيالنا مقرونا بشيء من انحرافات فقد كان الرجال والنساء والأطفال يقدون على دارنا ليلا ونهارا ومعهم الضعفاء والمرضى والمُخدجون يتمسون الشفاء مني باللمس والرُقَى وكتابة النشرات وما يعبرون عنه بالحرز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأيي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر ما يسمح به المقام ويليق بحال المخاطب وأحسهم على المداراة الصحية والتداوي ومراجعة الاطباء عند الحاجة وقد سبق للمنار البحث في هذه المسائل والجمع بين الاحاديث

## ٨٧٨ اقلامة وصاحب المنار: شيخ الطريق . دده والكورة ( المارح ١١ ١١م )

الواردة في الرق كحديث إقرار الذين رفقوا المندوخ بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسترقون على أن إقناع النساء بلباب الحق في هذه المسائل عسير ، ولا يتم ولو مع الإرشاد في زمن قصير ، ونسأل الله تعالى أن لا يجعلنا فتنه لأنفسنا ، ولا لمن يحسن الظن بنا ،

قلت مرة لعبد الرحمن افندي الكواكبي (رحمه الله) لو تيسر لنا ان نجعل بعض محبي الإصلاح المتصمين بالكتاب والسنة شيخاً للطريق لا يمكن لنا بذلك هداية العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيخاً لطريقة من الطرق . فقال إننا قد جربنا ما ذكرت فأقنعنا رجلاً من الصالحين المستيرين في حلب بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعهم وخرافاتهم ويهديهم الى طريق الدين السويّ قبل بعد إباء ونفور فلما رأى إقبال العامة عليه واعتقادهم صلاحه وبركته قن بذلك وجاراهم في اعتقادهم فكانوا سبباً لفضله بدلاً من ان يكون سبباً لهدايتهم وخسرناه خسارة لا مبطع في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أوفي المنار )

عقدت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حاضري القرية قاتب الناس توبة يغلب على ظني ان اكثرهم صادق فيها ولا أخشى من الاصرار على الفساد الا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أشرت اليهم فيما سبق من القول . وقد الفت لهم جمعية شنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعية التعاون التي سعت بتأسيسها في طرابلس

### دده وسائر الكورة

بدأت الوفود تفر من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا اليها كرئيس دير البند ووجهاء البلاد من المسلمين والنصارى وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل - بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالاغاني فتلقاهم

(التاريخ ١١م ١١) احتفاء أهل دده والكورة بصاحب المنار . خطاب السلطان ٨٧٩

شبان القلمون في خارجها وأدخلوهم باحتفال يناسب ما هم فيه وقد قيل لي ان من الرسوم المعتادة في ذلك أنه لولم يخرج شبان القلمون لقائهم لما دخلوها لان ذلك يعد من الاهانة في عرفهم . وعند وصولهم الى دارنا تحلقوا أمامها وطفقوا بهزجرون ويطلقون العبارات النارية الى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيعين مشكورين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الامير علي عبد الرحمن الايوبي وجميع الاناشيد التي هزجوا بها مناسبة لمقتضى الحال ولعل أكثرها رنجالي فانه في الترحيب بالقادم (صاحب هذه المجلة) وفيها إطراء له بالأعمال السياسية والعلمية وقد ذكر بعض القوالين المسلمين فيما أنشده عبارة معناها : لولاك يا فلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه رفيق له من النصاري بعبارة معناها انه ليس لكم وحدكم وانه قد طبع لنا الانجيل يعني بذلك انجيل برنابا !! وقد أضحكني هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بانجيل برنابا . فخذوا هذه السذاجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حدث عليه أهل دده حمدا جميلا ( للرحلة بقية )

## خطاب السلطان

### في افتتاح مجلس المبعوثان

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعته مروض الاجراء عند ارتقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطراب الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون وارجي عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ؛ وقفت عنايتي على ايجاد الرقي في جميع أنحاء بلادي ، وبفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا وبناء على الرغبة التي أعلنت ولان هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم تردد — رغم الذين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور



## ٨٠ خطاب السلطان . انتقاد الصحف لها ( المارچ ١١م ١١ )

ثانية وأمرنا بإجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تغيير طريقة الحكم الإداري اسندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا . وبينما كان مجلس النظار المؤلف تحت رياسته عا كفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الروملي الشرقية عن حدود الأمانة لسلطنتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بضم البوسنة والهرسك اللتين سلم إليهما احتلالهما وقتيا بمعاودة برلين . فابلغت اقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثن العظيمان اللذان يخرقان حرمة المعاهدات ويمسان الصلات . سببا لنا اسفاً عظيماً وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الأمل انه مع معاونة الدول صديقاتنا تحل المسائل السياسية

وانا نود من صميم الفؤاد تنظيم المالية ، وتسوية موازنة الميزانية ، ومواصلة تحسين حالة سلطنتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام ، وابلأغ جيشنا وبحريتنا درجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين شتى ستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها وعلى أمل ان مبعوثانا سيدلون كل جهدهم في هذه السبيل نعلن اليوم اذا فتح مجلس المبعوثان

ومتى متمننا سعادة الامة ونجاحها وأقصى رغبتنا وآكدها وعزيمتنا الثابتة التي لا تغيران تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها ( المار ) : بعد ان تلا رئيس كتاب الماين هذا الخطاب نطق السلطان بهذه الجملة بصوت خافت « انني كثير السرور برويتكم مجتمعين امامي هنا وسأل الله ان يكلل أعمالنا بالنجاح والتوفيق » ولقد كان للخطبة وقع سيء في الأستانة وانتقدتها الصحف ثمة انتقادا شديدا

﴿ المجلد الحادي عشر ﴾

٨٨١

﴿ الجزء الثاني عشر ﴾

بؤني الحكمة من يشاء من بؤن الحكمة فقد أوتي  
غيرا كثيرا وما ينصركم إلا أولو الألباب

# المجلد

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء من بؤن الحكمة فقد أوتي  
غيرا كثيرا وما ينصركم إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ — ٢٣ يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٩٠٩ ﴾

## خطب ودروس

### ﴿ صاحب المنار ﴾

في هذه الديار (٥)

إن لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والتربية وهو سورية فاتي نشأت في قرية القلمون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في طرابلس . ووطن العمل وهو مصر التي أقمت فيها إحدى عشرة سنة أدعو الى الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي واقرأ الدروس واعمل في بعض الجمعيات . ولما أقر الله عيوننا معشر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت الى زيارة وطني الأول لرؤية الاهل والاصدقاء ولاختبار حال البلاد بعيد ان اشتدت عليها

(٥) نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني البيروتية الصادر في

٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

## (المناج ١١م ١١) مقاصد خطب ودروس صاحب المنار . الواجبات الدينية ٩٠٥

وطأة الاستبداد ومساعدة محبي الإصلاح والترقي في التنبه لما يجب ان تتوجه اليه الهم .

زرت بيروت وطرابلس والقلمون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت إلى دمشق الشام فبعلبك فحمص فطرابلس . وقد أقيمت في أكثر هذه البلاد خطباً ودروساً وجرى لي مع أهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوقفت على ما أحيت الوقوف عليه . أما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم العصرية التي عليها مدار نروة الأمة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التناقض والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم إلا الاهتداء بالكتاب العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهديه أفضل الهدى وطريقه أقصد الطرق . وينت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والأعمال

(٣) أما العقائد فبينت ان الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجدون منها مخرجاً . ذلك بأنها لم تؤلف إلا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما بينه حجة الاسلام الغزالي في كتاب ( الجوامع العوام عن علم الكلام ) وفي غيره من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال عليها بيدع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والأنهار والجبال والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيعتمد في تعليمها على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات ، الآمرة بالمعروف والباقيات

## ٩٠٦ مقاصد خطب ودروس صاحب المنار . الواجبات الاجتماعية (المترجم ١١٢١)

الصالحات ، المنبهة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة ، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة — وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهديهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الأعمال كالوضوء والتيمم والصلاة والحج فقد بينت أنه ينبغي أن تعلم بالعمل كما ورد في الأحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » وإذا قرأ الإنسان جميع الكتب ولم يتلق الأمور العملية بالتدوينة فإنه لا يحسنها على أن الأقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب أن هذه الطريقة هي التي يمكن تميمها في مدة قليلة ترجى فائدها ويظهر أثرها وأنه من استطاع أن يعلم الناس كلم أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليفعل بالطريقة التي تفرحها لا تكون مانعة له بل تكون مسهلة عليه ولكنني أرى أن من المتعذر تميم تعليم هذه الكتب فليبدأ بالمكن الأسهل طريقاً الذي لا بد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لإنشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الأول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم ولإعانة المنكوبين والمعوزين عند الحاجة لتكون طبقات الأمة متعاطفة متراحمة يحترم فقيرها غنياً ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي على إتمام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الإدارة ، ومن بث الآراء والأفكار التي تنفع روح محبة الدستور والمحافظة عليه في قلوب طبقات الأمة العثمانية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الأمة إلى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاتة الدول التي تواليها ومعاداة الدول التي تعادها ومجاراة هذه الدول بالاقبال على بضائعها أو بالأعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فإنه لا شيء يهم أوروباً من بلادنا مثل رواج تجارتها فيها . ولما جاءنا



## (الناشر ١٢م ١١) مقاصد خطب ودروس صاحب المنار. واجبات تحقيق الوحدة ٩٠٧

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنة والمهرسك الى أملاكها واعلان البلغار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة للبلغار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب ألقته في نادي جمعية الاتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة ألقته امام الثكنة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الامة بالمال دون تطوع الرجال لان ما عندها من العسكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة ألقته في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(٩) بيان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، ولفت الاذهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الامة العثمانية واشتراكها في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتممر بلادها، وهذا الاتفاق والائتام من نتائج التقارب في التربية والتعليم ، فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالتربية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الاتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والا ساءت العاقبة وخيف ان تساعد أوربا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتجعل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(١٠) تكريم الشعب وتنبيهه الى انه أهل لكل مكربة وكل خير ، وان العالمي إذا اتقى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورغب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا يرفع الامة بفضاء ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثيرا من الفقراء

## ٩٠٨ حادثة صاحب المنار في الشام (المنار ج ١٢ م ١١)

يمكنهم ان يذبلوا شيئاً قليلاً من الصدقة على قدر حالهم للجمعيات الخيرية وبذلك يعدون من خدمة الأئمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان يفهمها المتعلم والعامي :  
هذا يفهم فهماً اجمالياً ، وذلك يفهم فهماً تفصيلياً ، وقد رضى عنها وأثنى عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في اندهامها ، لما عليه أهل بلادنا من الذكاء ، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العلم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت ألقها في المساجد : هل انتقدتم عليّ شيئاً فاتقي العود إلى مثله ؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ما سمعوا مستحسنًا عندهم غير متقدّم . ذكرت هذه الكلمة تمهيداً لما يأتي

### حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العثماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها اني سافرت من الشام ليلاً والصواب انني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس . وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدّع في مجلس الدرس اني قلت شيئاً وأخطأت فيه وانما تكلم كلاماً مستقلاً في مسألتين لم أتعرض لهما في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام باثبات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقاد فضلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم . وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضراً ذلك المجلس فأيّاه أسأل دون أولئك الألواف التي كانت حاضرة الدرس : هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع ؟ ان كان سمع شيئاً مخالفاً فاذكره بالميثاق الذي أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب « لينبئنه للناس ولا يكتُمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يبعث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه ، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم . وسأكتب اليه كتاباً خاصاً أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والاحاديث الشريفة في عيد كاتبي العلم

## (الناشر ١٢ م ١١) الاجتهاد: زيارة القبور: رأي صاحب المنار فيها ٩٠٩

### كشف شبهتين أو ثلاث

إذا كنت لم تعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالأموات الصالحين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني أنني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . وإذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الاجتهاد والتقليد فقد علم الكثيرون أنني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما أكتبه ولا أزال أعرضه لقد العلماء وأنشر كل ما يرد عليّ منهم في ذلك ولا تشع هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وإنما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيهما بعض الناس بسوءنية وبعضهم باخلاص وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تصديق للكاذبين الذين يشعرون عنا بالباطل حتى زعموا أننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني أنني أطالب كل مسلم بأن يكون مجتهدا مثل الأئمة رضوان الله عليهم ! وربما تطرف من يستبيح الكذب لأرضاء هواه فزعم أنني أظن في الأئمة المجتهدين ! . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة أنه لا يطالب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل أن هذا من طلب المحال لقصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تفرغهم له . ومن فهم أنني أعني هذا بالترغيب في الاهتمام بالكتاب والسنة فهو مخطئ . فأنما أعني به أن وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويمتدح روح الدين في نفوسهم ، وأطالب المشتغلين بالعلم أن يعنوا بفهمها ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ لدرس كتب المذاهب ك بعض طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى يراد بها فهم كل قول بدليله لا أن يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب !! . وهذا ما أعنيه بالأصلاح الديني وملخصه أن يعنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وفهم كلام الأئمة بدليله وأن يبذلوا جهدهم بإرشاد العامة بهما كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الأئمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : أنني لم أنكر زيارة القبور وإنما أنكر دائما ما يكون عند زيارتها من

٩١٠ التوسل بذوي القبور الكرامات . مواقتها السنن الله ( المنارج ١٢ م ١١ )

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الأئمة المجتهدين ، وأقول ان حب الصالحين والاولياء المقربين من الاحياء والميتين انما ينفع ويكون وسيلة الى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله وتقواه بترك المعاصي والعمل الصالح مع الإيمان الصحيح والا كان غرورا . ومن الغرور الذي يمنعه الاسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطلب إلا من الله واعتقاد انهم يستجيبون لمن دعاهم وان لهم سلطة غيبية وراء الاسباب والسنن الالهية ينفعون بها ويضررون ، ويعطون ويمنعون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وان سميت توسلا فان الاسماء لا تغير الحقائق

ومما يتعلق بهذه المسألة بحث الكرامات والتي لم أنكر جواز الكرامات ولا وقوعها ولكن بينت انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير او تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول . وانها لا تكون معتادة كأنها صنعة بيد الولي ! بل قال في الفتوحات انها لا تتكرر فان المكرر يكون معتادا لا خارقا للمادة وغير ذلك من الاغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل . وحذرت عوام الأئمة من الدجالين المحتالين الذين يدخلون عليها التليس من هذا الباب . فمن أراد أن يقف على التفصيل في ذلك ، فليراجع المجلد الثاني والمجلد السادس من المنار ففيها بضع عشرة مقالة مطولة في الكرامات . ومن يدعي ان شيئا من كلامنا المجلد هنا والمفصل هناك مخالف للشرع فعليه أن يكتب الينادعواه مؤيدة بالدليل لنشرها له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا



## باب المراسلة والمناظرة

### ﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارع الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده  
الله وسدد مسعاها

السلام عليكم وبعد فقد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى  
حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العثماني من اجمال رحلتكم الى سورية  
فتمنيتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا  
على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس  
وشعور من تنبيهكم للتعاون على البر والتقوى والتعاوض مادياديا والسعي في  
عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفكرين أن يكون وعظهم وتعليمهم مؤسسا على  
الكتاب وما صح من السنة فقها وعقائد وآدابا فلقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية  
قوله تعالى (ولكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد أبلغتم  
تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة  
والجماعة ولا يستقله الا جاهل أو حاسد فنشكركم على تلك المهمة والحزم السديد

بقي بحث الكرامات ذكرتم انكم لم تتعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الآن اماما أحلم  
عليه في مجلدات المنار رفع الأسف اني الى الآن ما رأيت من المنار عددا للسبب الذي كان  
حائلا في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جليلة من  
الاجال المصور في الاتحاد العثماني وقد أكرمتم على أهل العلم ان يكتبوا لكم ما ظهر لهم فانكم  
طوقتم أعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقا في جميع ما هو مسطور  
هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كمالكم الانصاف والرجوع الى الحق الذي  
يتبين لكم فنقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير  
أو تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بأن سننه لا تبدل ولا تحول » هذا لفظكم تعنون

## ٩١٢ خرق العادة وسنة الله . رأي الشوكاني . المعجزات ( المارج ١٢م ١١ )

قوله تعالى ( فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ) تفسير هذه الآية ونحوها بعدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كلياً ورأيت في كتب جديدة عربية وتركية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانبياؤه ومن قفاهم ، وخذ لانه لاعدائه ومن والاهم ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسير فتح القدير تحت هذه الآية مانصه «فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل باؤلئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبدل سنة الله التي سننها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبرة بعموم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لاكثر آيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرها من عجائب قدرة الله كنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان تقول نزوعا بالآية اعتباراً بعموم اللفظ عموماً لا ينقض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجني ما كتبه صاحب الحمية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » بهذا اشارته الى حديث « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

(المناج ١٢م ١١) سد الذريعة. الخوارق. رأي المنار فيها ٩١٣

بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السائرون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقهم وقد قضى بان تلك سننه وإن تجد لسنة الله تبديلاً. اهـ فان كان مرادكم سد الذريعة خوف توسيع الخرق على الراجع من جهة العامة فسد الذريعة من أصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقاً للعادة باذن الله وجواز ما يعمل من البدع في زيارة الاولياء والغالوي الاعتقاد. وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفراييني والقشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة ما انكراها وانما قالوا لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرطان لا تتوالى وتترادف ترادفاً يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكاناً وسنة ، لا في عوارضها وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فأملوا المسألة فان خطرهما كبير والماديون والطبيعيون بالمرصاد فإذا سمعوا علماء الملة يقولون بفساد خرق العادة فيا بشراهم يبنون على هذا الاساس الموهوم ماشاءوا لان مذاهبهم انزال الخالق جل جلاله عن التصرف في العالم استغناء بالطبيعة أعادنا الله واياكم من الضلال وبالله تعالى التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالاستانة

(المنار) إنما لا نقول بأن ما يعبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقم بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العثماني مجملة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إيجازها هو السبب في إجمالها ولم نر بذلك بأساً لأننا أحلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس بيان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق (المناج ١٢م ١١) (١١٥) (المجلد الحادي عشر)

## ٩١٤ المعجزات . رأي ابن رشد فيها . الخوارق ازاء العلم (المناج ١٢م ١١)

وفي عدد كبير من علماء الدنيا إياها شبهات على الدين ومنفرات عنه ففسي أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأيه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمرادنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مغيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢١ م انصه (ص ١٧) « أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والأرض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؟ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها أنها كما قال ابن رشد قد وجدت ونقلت نقلاً متواتراً اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحراً لجهلهم بالتفرقة بينها وبين تلك الشعوذات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصونة من انكار المنكرين » واعتراض الواهين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا ، اه من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد ( ص ٥٥ م ٦ ) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن السكون وكونها عامة في ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون روايات الآحاد تفيد الظن . والرابعة في كون العجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الأمم ووجوب تمحيص النقول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلاً للانظار ، أو خداعاً للابصار أو الافكار ، » وهذا نص السادسة :

« قد كشف العلم أسباباً لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع



## (المناج ١٢م ١١) الخوارق . كونها ذات اسباب لا تفسد بالنبوة ٩١٥

لا تتناس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه، ولا وجه يمكن ان يؤهل اليه ، فهو الذي يصح ان يسمى خارقة أو أعجوبة ، والنظر فيه من وجوب: حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم بينا ذلك وانترض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولذلك قلنا في المسألة العاشرة ( ص ٥٩ م ٦ ) مانصه:

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، ( أي كما يعتقد منكرو الخوارق الآن ) فلا يهين واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور لبطلانها ، كلا إن تحقق ( تأمل ) فلا يبعد ان يكون تحققة مظهرا لحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الاعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الفرية كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بحسبهم وارادتهم كما شاؤا وكيفما شاؤا ، وإنما كانوا يتبرؤن من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجادلة من قومهم والخالح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افهام السبية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي المنة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه ( ألم يأتكم نأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب » قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ؟ قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبین » قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) فهذه ستة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

## ٩١٦ صدق الانبياء.. عدم توقفه على الخوارق المعجزة والكرامة (الطراز ١١م١٢)

الى الله بالينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيثبأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيخضع المستعد لقبول ذلك، ويعاند الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب، قال تعالى ( وما نرسل بالآيات الا تخويفا )

دفاذا فرضنا ان العلم أظهر سبباً مقولاً لآيات موسى عليه السلام فهل ينافي ذلك أنها كانت تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب الاثني بأمثالهم في بلادهم وجفوتهم ؟

د نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم ، ولا سند متواتر على صحة كتابهم ، أولئك الذين يعتقدون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت لمحمد (عليه افضل الصلاة والسلام) العجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة !! قاله العلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسية وتكوين الأمم وترتيبها من رجل أمي تربى يتما في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونها تأييداً لها ، وبرهاناً على صدقه قطياً ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها ، اه ومنه يعلم اخوتنا صاحب الرسالة مرمانا في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ومحاجة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف بهذا ان يكون كلامنا حجة لهم ؟ ولا يحسبن اننا نصور شبهاً لم ترد علينا كما فعل كثير من علمائنا كالرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثير الحديث فيها . وهاك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦٦١) :

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إخفاؤها خوف الفتنة ، وزاد بعضهم كالتشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وانما تكون فيما دون ذلك كشفاً مريض ومكاشفة خلافاً لقول المشهور : ما جزأ أن يكون معجزة انبي جاز أن يكون

(المنارج ١٢م ١١) المعجزات . عدم مخالفتها السنن . صدى حادثة الشام تونس ٩١٧

كرامة لولي . وقائل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه ما وقع ولا يقع بالفعل » اهـ

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس الامالي الدينية في العقائد وبيننا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لا تخالف سنن الله تعالى فمراده سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهد في زمن ظهورها ونطبق به الكتاب المعصوم وهذا الذي أوردناه هنا يكفي لتفصيل ما رآه اخونا الكريم صاحب الرسالة في مقالاتنا التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فمسي ان يكون الشكر مدعاة المزيد من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . فحيا الله العلماء المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجمال فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون ويقتابون ، ولكنهم لا ينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ، وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

## صدى حادثة الشام

### ﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصلحين وقد سألتنا نشره في المنار واننا ننشره اجابة لسؤاله مع الشكر له ولأولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :  
أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدماتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد



## ٩١٨ صدى حادثة صاحب المنار بتونس (المنازع ١٢م ١١)

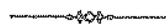
لله شكرا على ما نجاك ممن أراد بك كيدا؟ فنهينا للعلم والحكمة ، بما أسبغ الله عليهما من النعمة ،

ولقد رأيت المصطفين الاخيار ، من نابتة هذه الديار ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وافاض عليهم من طوله ، اذ حفظ زعيم هذه الامة ، الداعي الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة والحكمة ،

واني لأذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من عمر بن قتيبة ، وأحب ان يذكر ذلك اسرى الاوهام «حيثا كانوا» ممن يرون هذه الحادثة اثرًا من آثار تخرج الدين عليك ، وانتظاره الفرص للانتقام منك ! كلا والله ، انك لمن أحب الناس اليه ، واكرمهم عليه ، ولو تمثل لهم بشرا لرأوه يحمد الله حمداً كثيراً ، ويشكره بكرة واصيلاً ، على ان الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجتك الارتفاعاً ، وصيتك الا شهرة ، ولكنهم يفهمون الشرف مقلوباً ، والمجد معكوساً . فيالله والدين والانسانية ، وطلاب الاصلاح من نبغاء الجمعية البشرية ، من هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويلقبون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون ، ويحسبون انهم على شيء ، ألا انهم هم الكاذبون .

وانا نشكر المنار الزاهر فضله في تبديد حزبه ، وتزيق شملهم ، والاجهاز على مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى ، وازداد ايماننا بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسال أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال )

والله يحفظك لحماية دينه والدعوة الى سبيله ، والسلام .





(المترجم ١٢ م ١١) آثرية أدبية مقدمة كتاب الانقلاب العثماني ٩١٩

أناي عليا

## الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بمطبعة المنار في كتاب مستقل<sup>(١)</sup>  
وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وصفي رضا:

بسم الله الرحمن الرحيم

( وشاورهم في الأمر )  
( وأمرهم شورى بينهم )  
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي ،  
الى نهاية أيام السلطان عبد المجيد العاقل الابي ، — دولة حرية بحثة ، شادت بناء  
عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والقلب ، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت  
من الدول ذوات البأس اللاتي يتقى غضبهن ، وتخطب مودتهن ، فأمنت في  
الفتوحات ، واسترسلت في الغزوات ، وقلا كانت ترجع من غزوة إلا وبنود الفلج  
تفلق فوق رأسها ، ورايات الظفر تتأيل في أيدي رجالها السكاة صلفا وفخرا ، فز  
مكانها ، وتطاول بنيانها ، واتسع ملكها ، حتى تنقلت في أحشاء أوربا ، بعد أن  
استحوذت على آسيا الصغرى وجزء كبير من إفريقيا .

(١) بلغت صفحاته ١٨٢ باقطة الصغير وهو يباع بثلاثة قروش صحيفة في

مكتبي المنار بمصر وطرابلس

## ٩٢٠ مقدمة كتاب الاقلاب العثماني ( المراجع ١٢ ١١م )

كانت سرية الخطى في هذه السبيل فسادت وشادت ، وبنت على أطلال الدولة السلجوقية دولة عظمى قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسمونها العصور المظلمة الا بقوة المراس ، وثبات الجاش ، والنشوء بين صليل السيوف ، ومزاحف الصفوف .

أخذ بضدها فتح القسطنطينية وكان قويا صالحا فأثاف بها على الفاع ، وتوغل بها سني المراتب ، ناهيك بملك القسطنطينية اذا كانت خيرا عادلا ، وما زالت تدرج في منازل العظمة ، ومواطن السؤدد ، حتى كانت أيام السلطان سليمان القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقفت عند متهى القاي ، وهو صاحب الفضل في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على تقاليد محفوظة ، لا غناء بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسمها وكان افعال أولي الامر وجهلهم وسوءهم الرعية سوء العذاب مساعدا على نماء الضعف ، وسريانه في جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمود الثاني ذلك الحب للإصلاح ، والدولة على شفا جرف هار ينذرهما بالاضمحلال والفتاء ، الفاها وقد هددت تلك القوة التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بسهم في العلم الذي أصبح السلاح القاطع واقوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، هوم منادها بما في وسعه ، واصلح قاسدها بما في طوقه ، وبما يذكرك له بالثناء عليه تنكيه بالانكشارية الذين كانت ومام الملك في يدهم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة واضعافها ثم تولى الملك السلطان عبد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات خلوجية ، تضعف الرجاء في إقالتها من عثرتها ، وإنهاضها من كبوتها ، بله ارجاعها الى سابق عزها ، وصانف مجدها ، فأخذ بضعبها ، وحدد للحكومة وظائفها ، وبين للرعية حقوقها ، ويكفيه فخرا انه هو الواضع لخط « كلكانه » المعروف لم يكبد عبد المجيد يوارى في رسمه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي زين له حب الشهوات ، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكت قلب سلفه ، ويصدع رأب ساقه ، وكان عوناً له على هذا التخريب وزيره محمود نديم باشا ، حبيب ( اغتاف ) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ قايه ومقاصده

## (المنارج ١٢م ١١) مقدمة كتاب الاقلاب العثماني ٩٢١

ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوما ، ولم يكد يستقر على السرير حتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزينوا له ان يسير على سنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان مدحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكد تقر عيونهم بتحقيق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد وإلحاقهم في غيابة السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور !!!

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة ، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » فطفقوا يرضون المخلوق بما يسخط الخالق ، واقترعوا ضروبا من الظلم ، وأفانين من الارهاق والتضييق ، كانوا يصولون بها على الأمة صيال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات الخالب ، وامتد بهم الفساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، ففتوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قبل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحيق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكلوا برجاله شر تنكيل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بآمتهم قد اجمعوا أمرهم سرا وأنشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلها تنديد بالحال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الشبان في الاستانة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثمانى عشرة سنة ، ثم نمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخيار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والنصر المين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

(المنارج ١٢) (١١٦) (المجلد الحادي عشر)



راق في سبيل ذلك نقطة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الانقلاب لم تصل أمة إلى ساحله الا بعد خوضها في بحر لحي من الدم ، لم تكن دهشة الامة العثمانية واعجابها بهذا الانقلاب بأكثر من دهشة سائر الامم الاخرى ، فقد تجاوزت صيحات ( نيازي ) و ( أنور ) بلاد الدولة العلية الى مدن أوربا وغيرها ، فالتفت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يخطر لهايال ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الانقلاب الذي لم يع- التاريخ في صدره له ضربا ، حائرين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السياسي ، والاديب الألمعي ، صديقنا محمد روجي بك الخالدي ، عضوا لقدس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جليلة في هذا الموضوع ، أماط فيها اللثام عن الاسباب المجهولة ، والحقائق المخدرة ، وقد بحث فيها بحثا فلسفيا في أصل الاستبداد ونشوءه ، وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليد الموروثة ونظاماتها المكنسية ، وشيوع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الامر فيها ، مما أدى بها الى شر حالة ، وكان سببا في قيام الاحرار ومطالبتهم بالاصلاح ، وأفاض القول في شؤون الاحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها ليصلوا الى مقاصدهم ، مع تراجع لمشهور بهم . جال المؤلف في ذلك جولة المورخ الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردها أن الانقلاب هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقته ، فكان ما كتبه جديراً بأن يكون رائدا لمن يأنس في نفسه شغفا الى استكناه تلك القوامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارىء ليس شغوفا بذلك ؟

نشرت الرسالة في مجلة ( المنار ) فكانت موضع استحسان العلماء العقلاء ، والكتاب الابناء ، وكان بدالي ان استأذن مؤلفها في طبعها على حدة لتكون كتابا مستقلا تلزم مطالعته ، وتسهل مراجعته ، فكتبت اليه راغبا في ذلك ، فرجع القول مليا للطلب ، ساعحا بتفقيح ما لاتسلم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما اذا كان كموءلفنا لم يُتَح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أرفها اليوم الى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعا صحيحا ، رجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويوقفوا على أسباب ذلك الانقلاب العجيب . وخلق بأهل هذا



( الملتحج ١٢ م ١١ ) التقریظ والانتقاد . الكتب ٩٢٣

القطر الذین شفقوا بالدستور وقد ضاوا طریقه، ولم یهتدوا إلى بابہ، أن یمضوا فی معانیہا،  
وینبیئوا مرایبہا، عسى ان یتأسروا بأولئک الاحرار، ویكونوا من خیر المحتذین لهم  
فی هذه الدیلر

القاهرة فی سلخ ذی القعدة سنة ١٣٢٦

حسین وصفي رضا

## التقریظ والانتقاد

حالت كثرة المواد فی أجزاء المجلد الاخير دون التنويه بالكتب التي  
أهدیت الیها، وذكر المجلدات والجرائد التي صدرت فی هذه الفترة، ولما كان هذا  
الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهدیت الیها فیها تلك المطبوعات رأينا ان تنوه بها  
على سبیل الاختصار، وربما نمود إلى الكلام على ما يستدعي منها الكلام فی السنة  
الثانية عشرة :

### ﴿ الكتب ﴾

#### تاریخ مشروع السكة المجازة

أتمه صدیقنا الشیخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندیة الشهیرة  
فی ثلاث لغات : الاوردیة والعربیة والانكليزية وهو تاریخ مفصل لهذا المشروع الجلیل

#### اتمام الوفاء

مؤلفه الشیخ محمد الخضری المدرس فی مدرسة القضاء الشرعی وهو یحتوی  
على سيرة الخلفاء الراشدين وقد جمعه مؤلفه قسین : قسماً سباه عصر اتحاد الكلمة  
وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظمات الأمة الاسلامیة فی ذلك الحین،  
وقسماً سباه عصر الفتن وهو ما كان فی أيام الخلیفتین عثمان وعلي (رض)

والكتاب یقع فی ٢٣٨ صفحة بالقطع الصغیر ویباع بخمسة قروش فی

جميع المكتبات

## ٩٢٤ القريض والامتناد . الكتب ( المار ج ١٢م ١١ )

### تاريخ اسلاميت

مؤلفه الدكتور . ر . دوزي الهولاندي أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن  
اعضاء المجامع العلمية في أوروبا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور  
عبد الله بك جودت منشي . مجلة « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

### الشيخ السلوك

ألفه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس للملك الناصر  
صلاح الدين يوسف وقد طبع على فقة أحمد زكي افندي أبو شادي ومحمد رشدي  
افندي الخبير بالحكام الاهلية وهو يطلب منها وصفحاته ١٤٠ بقطع المار

### تأويل مختلف الحديث

هذا الكتاب من فائس الكتب وضعه الإمام ابن قتيبة الدينوري من أهل  
أقرن الثالث « في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا  
عليها والاختلاف والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المتشابهة أو  
المشكلة بأدي الرأي » وقد طبعه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد ان صححه  
على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الأكرمي عالم العراق ونسخة مصححة  
بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشير وحسب الكتاب فقه ان يكون مصححا بقلم هذين  
العالمين ، ويطلب من طابعه بمصر

### نار القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الثعالبي صاحب قيمة الدهر وقه الفة وهو من كتب  
الادب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الثعالبي من الادباء ؟ والكتاب  
يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعاً نظيفاً على ورق جيد ويطلب من طابعه احمد زكي  
افندي ابو شادي بمصر

### الدولة الثمانية قبل الدستور وبعده

تأليف صديقنا سليمان افندي البستاني العضو في مجلس المبعوثان عن ولاية بيروت  
والكتاب يحتوي على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومراثيه ، وهو مطبوع

## (التأريخ ١٢ م ١١) الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ٩٢٥

طبعا نظيفا على اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمانه ١٢ قرشا صاغا وهويباغ في جميع المكتبات ويطلب من اسعد افندي البستاني بشارع صندوق الدين بمصر

### تركيا الجديدة

مؤلفه جميل افندي معلوف من مشهورى كتاب السوريين في أمرىكا وقد قسمه الى ستة كتب: (١) اسباب الانحطاط في الشرق، (٢) تفرنج الشرقيين، (٣) التعليم، (٤) القانون الاساسي، (٥) الديانة السياسية، (٦) ابقاء أم فناء.. وختمه بفصل في حقوق الانسان وملاحظات متفرقة.

### عنة الاولاد

كتاب صغير يحتوي على نصائح وعظات يجدر بالثابته أن تعني بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالعربية سليم افندي خوري «بقلم سكرتير مالي السودان» وهو يطلب منه

### جواهر الحكماء

هو مجموع رسالتين إحداهما لابن المقفع والأخرى للحافظ ابن عبد البر الاندلسي جمعهما في كتاب واحد عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ويطلب منه وثمانه ثمانية قروش.

## ﴿ الدواوين الشعرية والرسائل والقصص ﴾

### ديوان احمد نسيم

احمد افندي نسيم من شعراء مصر المشهورين وقد جمع شعره في كتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبعا نظيفا على ورق صقيل

### ديوان الحمويات

نظم هذا الديوان السيد محمد الحسن الحموي وهو يحتوي على موضوعات شتى وكثير من المقاطيع وقد طبع بالقطع الصغير وصفحاته ٢٠٨ ويطلب من ناظمه بحلوان

### رسالة المطور

ترتيب محمد توفيق افندي عطار الدمشقي نزيل الاستانة وهي رسالة في علم الفرائض سهلة العبارة حسنة الترتيب

أاربخ الأرمين وبيت المقدس

أراسة لأأءء أافظ افنءى هءاىه وءطلب منه بطنطا

المباءىء النأوىة

رسالة فى النأوءأأصرة سهالة للشيخ مصطفى بأكرى الاسىوطى « مءرس اللغة  
المرىة بالمءارس الأرة »

فأأ القىوم

وهى أأمة مقءمة ابن آأروم للسىء عأءء بن سوة من علماء فأس

فى سبل الءسأور الفارسى

أراسة أأأوى على أأط وبأامأ أأأأ افنءى ابراهىم الاىرانى نزل مصر

بوم الأساب

هو الأرة الاول من أألة أءائأ الظاهر لصابأها أأء زكى افنءى أبوشاءى  
ومأوء افنءى عباسى وئمنه ٣ قروش

ربة الأمال

أصة أرجها باللغة المرىة اسأنءر افنءى أورى وءباع بسة قروش فى  
المأأبة الشرقىة

**﴿ المآلات والأرائء ﴾**الفرق الاءنى The Near East.

أألة انكلزىة مصورة أأأ فى شؤون الشرق الاءنى أاصة ، وءطبع على  
أأوء ورق ، وئأشر صورا للبلاد الشرقىة ورجالها ومأالسا وأىء ذلك فى أاية الاأقان ،  
وموضوعها سىاسى مالى أءبى ، وهى أصدرفى لئءرة وئمن الأرة منها نصف شلن ، ولم  
ىأأب علما اسم صابأها أو أصأابها

الأفس اللطىف

أألة « أءبىة أأماعىة لصابأها ومأرأها ملكه سهء » أصدرفى مصر مرة فى الشهر



بالتنين وثلاثين صفحة وطبعها في غاية الجودة، وورقها صقيل وموضوعها جليل، فخلق بالشبان والشباب التوفر على مطالعتها، وقيمة اشتراكها أربعون قرشا صاغا في السنة

#### بيان الحق

مجلة تركية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتنتشر أفكار الجمعية العلمية الإسلامية، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الأسبوع، وقيمة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صاغا عثمانيا ونحن النسخة قرش ونصف

#### المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير إليها في (ص ٦٣٦ م ١١) وهي كما كان ينتظر من منشئها صديقنا جرجي افندي بني وأخيه صموئيل افندي، فهي تدل على علم وبصيرة واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و ١٧ في الخارج

#### روضة المعارف

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة» في بيروت لمديرها محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الأستاذ عبدالرحمن افندي سلام من علماء بيروت. جاءنا الجزء الاول منها منذ شهرين وهو يصدر بصورة السلطان ١١ وقيمة اشتراكها ريالان في بيروت و ١٢ فرنكا في خارجها

#### المعتقد

«مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية» تصدر في بيروت مرتين في الشهر بانقطع الصغير، لمنشئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقيمة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و ١٠ فرنكات في خارجها

#### الاممال اليدوية للسيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتها فاسيلا وأختها وقيمة اشتراكها ستون قرشا صاغا في مصر

#### القرطاس

«مجلة علمية أدبية مدرسية تصويرية» تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية لمديرها أحمد افندي قاتن وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشا صاغا

الجامعة المصرية

مجله نصف شهرية مصورة تنشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لأصحابها  
محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيفي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها  
٤٠ قرش في مصر لغير طلبة الجامعة

المدونة

« مجلة علمية أدبية تاريخية يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب »  
تصدر في الشهر مرة باثنتين وثلاثين صفحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً في مصر

فرهون

مجله تبحث في شؤون القبط الملية وتصدر في الشهر مرتين لديرها توفيق افندي  
هيب واشتراكها ٢٠ قرشاً في مصر

صحيفة

مجله أوردية تصدر في حيدر أباد الدكن ( الهند ) لمنشئها مولوي محمد أكبر  
علي مستند مجلس المعارف بمكة

ابوقته

جريدة اصلاحية اسبوعية تنشر الجدل في قالب المزل، يصدرها في تونس السيد  
الهاشمي اخذ الكتاب المشهورين، وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

الحكيم

جريدة اسبوعية « حرة تبحث في كل شيء » يصدرها في كودوبا ( الأرجنتين )  
عزيز افندي حكيم ولها عناية خاصة بالأبحاث الفلسفية

شمس المدائن

جريدة اسبوعية « سياسية فنية أدبية » أنشأها فريق من الكتاب باللغة العربية  
في الأستانة، وقد سموها في هذه الأيام « شمس الحقائق » وقيمة اشتراكها البرة عثمانية  
في السنة

الاتحاد العثماني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » يصدرها في مدينة بيروت صديقنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهوري أرباب صناعة القلم، وهي من مثليات الجرائد الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلية الحق

جريدة عربية تصدر في الاستانة ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رئاسة تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في مصر والبلاد الخارجية وأربعة ريالات في الاستانة

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الهي وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا

الحجاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سررنا باناشئها سرورا عظيما لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

الطلبة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشا في مصر

الرفائف

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » لمديرها ومحررها حكمت بات شريف من مشهوري الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريالان في طرابلس و١٥ فرنكا في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » لمنشئها ومديرها صديقنا محمد افندي كردعلي (المنار ج ١٢) (١١٧) (المجلد الحادي عشر)

الكاتب المشهور، والمقتبس من الجرائد الممتازة بتحرير الصدق والتزام النصيح،  
والبعد عن سخيف القول ورذيلة التملق، وهي تصدر في دمشق الشام بقيمة اشترى كما  
اربعة ريالات ثمة و٢٥ فرنكا في الخارج

المحررة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحررة من الجرائد القديمة التي  
انطلقت منذ زمن فاعاد اصدارها في مصر الياس افندي زيادة، وعهد في رياسة تحريرها  
الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني من مشهور علماء سورية، بقيمة اشترى كما ثمة  
وخمسون قرشا صاغيا في السنة

## نابا الحبيب الألوكة

جواب مجلس المبعوثان (\*)

﴿ عن خطاب السلطان ﴾

في افتتاح مجلس المبعوثان

يا صاحب الشوكة :

ان ادوار الفتور التي حدثت على أثر ادوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور  
الفوائل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي أشد تأثيراً في التخريب  
من جهة أخرى - كانت نتيجتها استياء جميع العناصر العثمانية، وكان من ذلك ان والدكم  
المعظم قد وضع خط ( كلخانه الهمايوني ) الضامن للحقوق الشخصية، والقاضي بالمساواة  
بين جميع العناصر العثمانية المختلفة، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة  
جديدة ملائمة للحال العصرية

(\*) نشرنا في ( ص ٨٧٩ ) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس  
المبعوثان، وانا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه



يد انه لما كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وضمانها بصورة راسخة ثابتة وكان من الضروري - صيانة لهذه الضمانة - تبديل شكل الحكومة القديم وقبول الاصول الدستورية المستندة على حكم الامة الاصلي - صدرت في زمن جلوسكم السعيد ارادتكم السنية بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس النواب إجابة لآمال خواص الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة

على ان طريقة الشورى هي أصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات التي تباير هذا الشكل المشروع نأتجة عن تغلب البطل على الحق والاستبداد على العدل بصورة موقفة

ثم انه مع تصريح جلالكم في الخط السلطاني بان استعداد الامة وأهليتها في ذلك الحين مسلم بهما ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع مواثيق ذلك الاستعداد قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشا كل وهمية متناقضة جعلوا بها مستقبل قوة هذه الامة العظيمة عرضة للخطر مدعين انها غير أهل لصورة ولا شكل من الاشكال التي عينها (القانون الاساسي) وعليه تفرق مجلس الامة أيدي سبا !!!

ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالكم بالمشكلات الوهمية التي أحدثوها لم يكتفوا بالتمادي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد ادمنة الامة لهذا القانون فحسنوا لجلالكم إرجاء تنفيذه مستخفين بقوة ادراك الامة :

ولكن شكر الله فان الامة ونما عن المساعي التي بذلها من نيط بهم نشر العلم والمطارف في سبيل تعطيل الادمنة وتعطيل العيون قد ادركت بحسب استعدادها الفطري وقابليتها الطبيعية ان هذه الحال ستؤول الى الاقراض وانها إن لم تل حقوقها السياسية فلا تستطيع ان تحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالكم الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحدق بالدولة الذي لم يستر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ، ففرقم ما ينتج للدولة والمملكة بسبب اطمئنان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال ، فأصدرتم

الأمر السلطاني القاضي بالدعوة الى افتتاح مجلس الأمة وإعادة الانتخاب موافقة  
لاحكام القانون الاساسي بالرغم عن آراء المخالفين لفتحته ، وذلك فان الأمة تشكر  
جلالتكم هذا الشعور الذي كان سببا لا نقاد الدولة العثمانية من اقراض محقق وسوقها  
الى طريق الترقى والسعادة

ولو انكم تعلمتم قبلاً على خدام أرباب الطبايا كانت الاراضي الفائرة الموجودة  
في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ،  
ولكننا في ارتقاء وعلاء بدل التدني والانحطاط ، ولما كانت الشريعة القليلة التي  
استفادت من الاستبداد فتحت في قلب الأمة جرحا كاد يصير قرحاً ، ولكن  
الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكنها الدولة العثمانية استقرت  
في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن مديد

ان الأمة العثمانية تشارك جلالتكم في الاسف الذي أظهرتموه بسبب اعلان  
امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايني البوسنة والهرسك الى املاكها ، وهما الولايتان  
التي كانت تديرهما موقفاً بموجب ميثاق دولي ، لان الأمة العثمانية كانت في دور  
اقلابها السعيد قطع الطرق السياسية بصورة سلمية ، وتربي صميم الآمال لتكون مظهراً  
لموازنة الدول المتعددة وأهلاً لانعطافها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سينات الماضي المديد  
سيبذل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة لحلها ، وسيقوم  
بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحرزة لثقة الأمة والمسئول امام مجلسها النيابي  
ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية  
وجميع الدول ، وان الأمة التي أحدثت في الدولة هذا الاقلاب السلمي الداخلي  
ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موعودة للسلم

وان آمالنا معقودة بان دولتنا ستترقي بفضل خطتها السلمية الى الدرجة التي  
تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيئة الدولية ، وانها ستكون جديرة بالاستفادة من  
الحقوق الدولية على وجهها ، كما انها ستكون مرعية الجانب أهلاً لمحبة الدول كافة

٩٢٣

جواب مجلس المبعوثان

(المنازع ١٢م ١١)

وانا نتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الحاضرة على وجه حسن بموازرة الدول المعظمة التي ثبتت لها خطتنا السلمية ونبينا السلمية.

ان مجلسنا سينذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية، وسيكون رقيبا صادقا على الواردات، وسيطرا غيرا على الصادرات، وسيمنع بته إعطاء درهم واحد من الخزانة على غير وجهه، كما انه سيمنع أيضا اخذ بارة واحدة من افراد الامة بغير وجه مشروع، مقتحما في هذه السبيل كل المصاعب التي سيلاقها في امر ضبط الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمية التي انتجها الاسراف والتبذير في الماضي بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الامة، حتى يتسنى لدولتنا ان تكتسب لقب دولة مقنصة تدير امورها على القواعد المالية، وترفع عنها لقب دولة سفينة مبدرة، وانا نرى من الامور الهامة الواجبة بذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهة العناصر المختلفة المولفة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة بمجراها والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع انحاء المملكة واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزويد الوسائل العقلية وفتح الطرق والمعار لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضروريات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا الجغرافي، ولتسنى لنا بهما المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا المقيدة، لا للتعدي على حقوق الغير

ولهذه الامور الحيوية المذكورة سينذل الجهد تدقيق التقارير التي قدمت من الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب احكام القانون الاساسي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نؤكد لجلالتكم بان عزم الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت راسخ لا ترعزعه اية قوة مهما عظمت، كما اننا نعرض لجلالتكم ما خالج افئدتنا من الابتهاج والسرور بروية شخصكم الكريم ماثلاً امام نواب الامة مما جاء دليلاً على رفع الحواجز والحوائل بينكم وبين الامة

## ٩٣٤ جواب مجلس الاعيان (المنار ج ١٢م ١١)

ان قلبنا لا يشعر بغير محبة الأمة والوطن ، وكل آماننا الاشتغال بخير الملك والأمة ، ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والاتحاد ، وغايتنا الحق والعدل ، وقد عاهدنا ثلاثين مليوناً من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا نخاف في القيام بهد و بالتناغير توبىخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فالله يعينه ويؤيده

\*\*\*

## جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذاناً مصغية وقلوباً واعية لذلك الخطاب الذي فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين انقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزالت بزواله تلك البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ، وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مقبوطاً بروية سلطانه وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه الدستور فلنا الشرف ان نرفع لجلالتكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السار والحكومة الشورية تقوم على هذا الأسس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس هناك ضامن لتثبيت السلطة العليا وتنزيهاها عن التبعة الاحفظ ذلك الاساس المتين لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره وهو الاشارة الى حفظ القانون الاساسي بالميثاق البات ، وانا تقابل ذلك بالحمد والثناء الجميل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهمة والمساعي لانجاح المداولات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنة والهرسك والبلغار — ذلك كله -- من مهمات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد بقيام الوزارة خير قيام بمهماتها ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد



٩٣٥

جواب مجلس الاعيان

( المارچ ١٢ ١١٢ )

نحن في حاجة عظيمة الى الثقة بنا ولا يتم لنا ذلك إلا بنجاح حقيقي في النظام الاداري والعسكري، ويعوزنا بذل المساعي العظيمة لنحفظ موازنة الحكومات ولتكون لنا مدينة صحيحة ثابتة

إن المساواة بين الافراد والعدل بين أفراد الأمة وجماعاتها وتعليم الشعب وتثقيبه حسب حاجات الزمان على نمط الشعوب المتدنة والاعتماد المالي الصحيح وضمان حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من الامور الضرورية التي لا تقبل التسويف والتأجيل

وان ثقتنا كلها موضوعة في مجلس الامة ( المبعوثان ) وآماننا بمساعيهم الحكيمة محققة ، وسنرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا ونسبل بلوغ الاماني المشار اليها ، وبذلك يكون للأمة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألا تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان والمبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تسيّر البلاد بسبيل التقدم والنتاج ، ولا ريب عندنا بان مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستضم إلى هذه المساعي ، وحينئذ نال السعادة التامة التي نطلبها ، وهي ذلك الغرض الذي يري اليه المصلحون من ابناء الوطن

وانا نثمن عريضتنا هذه بتكرار الشكر لجلالتكم لتهدكم وعزمكم الاكيد على حفظ شكل الحكومة الشورية ، ونؤكد لجلالتكم أن مجلس الاعيان يسند جهده في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يرى حفظه من أقدم الواجبات وانا نعزّض لجلالتكم بان مجلس الاعيان يقوم بخوكم ونحو الأمة بكل مايجب عليه من الإخلاص التام



٩٣٦ رحلة صاحب المنار : دمشق ( المجلد ١٢م ١١ )

## رحلة صاحب المنار

### ﴿ في سوريا ﴾

٣

#### دمشق الشام

عدت في ٢٣ رمضان الى بيروت وفاء بو عدي لأصدقائي والوالي فأقمت فيها أربعة أيام كنت أقي في كل يوم منها دوسادينا بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الاخير استبدلت بالدرس خطبة سياسية في حظيرة الموقع العسكري إجابة لطلب الكثيرين

وفي صبيحة الخميس ٢٧ منه ركبنا القطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار رديء ، الدرجة الاولى منه دون الدرجة الثانية من القطار الذي ين رفاق وحمص ، فبلغ بنا محطة دمشق قبيل المغرب فإذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك العظم وجمهور ممن نعرف ومن لم نعرف من المحبين العلماء والوجهاء ، نخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الاستاذ الاكبر بركة الوقت بقية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والاستاذ العامل المجد الذي يقتل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النفع بهما وعملهما

نزلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجهاء ، فرأينا من أديهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعا منهم منذ الليلة الأولى أخباراً سيرة عن جمعية الإخاء العربي التي أسست في الأستانة فقال بعضهم انها أسست بإيعاز من السلطان لتكون عضدا له وعونا على جمعية الاتحاد والترقي ، وقال آخرون انها ضد الترك ، وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية ، وهو يندم الترك ويدعو الناس الى العصية الجنسية العربية وينفر من جمعية الاتحاد والترقي ، وذكروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمودات وان بعض

## (المنار ج ١٢ م ١١) اتحاد العرب بالترك وجوب اعتمادهم على انفسهم ٩٣٧

افرادها يحقرون وجهاء البلد ويفطرون في رمضان جهرا وان هذا مما يمهّد السبيل  
لندره المطران ويجعل دسائسه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمعه من أكثر من واحد وكنت أئين لهم ولغيرهم ان تغير  
العرب من الترك مفسدة من أضر المفسد واننا في أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك  
والاخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أخرج إليهم منهم الينا  
فمن يسعى الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدونا ولهم فان كان سعيه لهواه فهو شر  
الشياطين وان كان سعيه لغيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب في صدور ذلك  
من بني المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لا ينسوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكلموا على غيرهم  
بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في الترية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم  
والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة في إحياء الدولة ولقدروا على  
ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم  
اذا غلب في المستقبل حزب صباح الدين افندي ابن أخت السلطان على غيره من  
الاحزاب التي ينتظر ان تكون في الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون  
كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم  
المركزية ( Décentralisation ) ويرى بعض علماء السياسة انه لا بد في المستقبل  
من استقلال كل جنس بنفسه ويروى هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في  
المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدنية ذلك  
العصر الذي سيكون أرقى من عصرنا هذا — وان قرب — وغير أهل لمشاركة سائر  
الامم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف  
تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون ( لا قدر الله ) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرتقية  
في العلوم والاعمال ؟ ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟ وكيف تكون سيرته  
فيها ؟ يجب علينا ان نفكر في حالنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان  
نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ما قبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الاساس  
(المنار ج ١٢ م ١١٨) (المجلد الحادي عشر)

## ٩٣٨ افكار صاحب المنار التي بثها بالشام . حياة الصناعات بدمشق (المنارج ١٢م ١١)

الذي نبني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها وان نكون الآن من أشد الاعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات، ورقباء على الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديموقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان على الاصول الدستورية

هذاما كنت أبته من الافكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد الفقراء بغير أجرة وتعليم أولاد الاغنياء بالاجرة . ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستغني بها عن الرحلة . وهذا ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها . وكيف لا ينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذي كان هو الأثر العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عربية تأسست فيها فدمره عصر الظلم والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لا ينقصه الا ما كان فيه أولاً من زينة الفسيفساء التي يحترقها حتى الافرنج من أهل هذا العصر، ثم اتيت رأيت معظم أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كبيت عبدالرحمن باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلام جاهها ومنزلة فقد تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فلم يقع نظري على شيء فيها من غير صنع الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهربائية النحاسية التي فيها هي من صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسيج والحفر والبناء والتجارة وغير ذلك وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إلي بعض الفضلاء أن أقرأ درساً في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي ومواقفتهم لرغبتني واستحسنتم ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة قفيل ان هذا هو الوقت الذي يختم



## (المارچ ١٢م ١١) درس صاحب المنار الأول بالأموي . حثه على العلوم المصرية ٩٣٩

فيه المدرسون الرسميون دروسهم فيرونك فيه مزاحما لم يقتل عليهم فلا ولى ان يكون درسك بعد العصر فوافقهم على ذلك . وقد صلينا الجمعة في الجامع الأموي وخرجنا ان نسمع فيه خطبة تناسب في حسنها المنوى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خاب رجاؤنا فسمعنا ما ملته اسماعنا من عهد الخدائة وهو مدح رمضان وتقرير العامة بمحدث الحق فيه الذي بنا في المنار من قبل ما قيل في وضعه . وشهدنا بعد الصلاة دروس المدرسين فجلسنا زهاء ثلث ساعة في درس الكزبري الذي حضره الوالي والمشير حسب العادة المتبعة وخلق كثير . ووقفنا هنيهة على درس رجل يقال له الشيخ صالح التونسي يحضره زهاء ١٥ أو ٢٠ رجلا ثم على درس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيدها بالضبط الصحيح ويورد في معناها كل ما قاله بعض العلماء في شرحها أو جله وينقل من المسألة الى ما يناسبها من غير تلثم ولا مكث

### درسنا الاول في الاموي

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة الفريضة تلا بعض القراء آيات من الكتاب العزيز فجعلها موضوع الدرس واستطردت منها الى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تنبيه الأذهان الى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لنعلم هل هي منطقة علينا أم لا . . . . . وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدكم الى ما فيه سعادة الدارين ويعدم بذلك جزاء على نصره والقيام بحقوقه وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرقى بها الاجتماع البشري وتعتز بها الأمة ويرفع شأن الدولة الا وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . وبما قلته وكررت : اني أرفع صوتي قائلاً أننا لا نقوم لنا قائمه إلا بالاعتماد على هذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فانتا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونصل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتعزيز دولتنا وأن نصل السكك الحديدية وغيرها من الأمور التي ترقى مسيرتنا ونحفظ ثروتنا ،

## ٩٤٠ فرائد العلوم العصرية: الجمع بينها وبين علوم الدين (المنار ج ١٢ ص ١١٢)

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ، إن علماءنا السابقين الذين كانوا يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعْنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الآلهيات بحثاً يخالف أصول الدين وقواعده، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مباحنة لتلك النظريات وناقضة لها لأن أساسها التجربة والاختبار والعقل فمن فروعها علم الكهرباء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلاً ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ، ومنه علم البخار الذي تسيّر به قطارات السكة الحجازية من بلدكم إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن أن يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستخدم لحفظ الدين ورفعة شأن أهله فكل من يصدّ المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقة هذا العلم وفائده وإما عدو غاشٍ للمسلمين

ثم بينت لم أن الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر ولا عسر ولا حرج فيه وأنه يمكن للمسلمين أن يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون العصرية التي نهت بفائدتها إذا احسنوا التربية الدينية وأصلحوا طرق التعليم وإن ذلك إنما يكون بإنشاء المدارس الأهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق القيام إلا الجمعيات فالذي يجب أن يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تنشر التعليم في جميع طبقات الأمة وذكرت لهم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوعاً للمعارف والمدنية فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكنكم ان آيين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الأمة وتعتز الدولة ان شتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كبير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا عليّ بعد الدرس بالتحية والتناء واظهار الاعجاب بالدرس والدعاء بأن ينفع الله به والوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا العظم وعلي باشا الأمير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبدته وألحوا عليّ بأن أعيده في اليوم الثاني

## (المنار ج ١٢ م ١١) درس صاحب المنار الثاني بالأموي وحادثه ٩٤١

### درسنا الثاني في الأموي والعادة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الأول في ليثهم تلك وانه على غير ما يهودون في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والاستناد على آي القرآن — وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغب الناس بعضهم بعضا في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني وننقل الا وقد تحلق الناس في مكان الدرس الأول ( تحت القبة ) وصاريلز ويزحم بعضهم بعضا فلما اتسعت مساحة القاعدين طفق الناس يتحلقون حولهم وقوفاً ثم ازدحموا فصاروا كلقاعدين على غير نظام حتى صاروا يقدرون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن إسماعهم إلا بالعود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسي الذي يقرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثه في الاسلام فصعدت اليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله واثناء عليه والصلاة والسلام على البشير النذير جزاه الله عنا أفضل ماجازى نبيا عن أمته كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الاسلام عاماً لجميع البشر موافقاً لمصالحهم في كل زمان ومكان وبيان إمكان الجمع بين هدايته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلحت طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس هدايتنا بالاسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فنهتدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الاسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لحياء الاسلام في زمن قليل لا تحتاج فيه الى مدارس هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقه وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المنتظمين لتحصيلها وهؤلاء المنقطعون عشر



## ٩٤٢ كتب الكلام: كونها لم توضع للتعليم: سهولة التعليم بالقرآن (المناج ١٢م ١١)

مشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماؤنا للتعليم العام في هذه القرون الأخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وهنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد؟ فقال بعضهم مئتا ألف أو يزيدون قلت هل يوجد فيهم ألفا عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة؟ قيل ولا ألف . قلت اذا كان هذا مبلغ تعلم الدين في مدينة تعد من أعظم أمصار الاسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين؟

ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعميم تعليم العقائد قلت ما معناه: ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة عن العقائد الاسلامية والاحتجاج على حقيقتها وقد افترض أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين عني المتكلمون باقامه الحجج عليهم! وظهر بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلها وحدثت لفلاسفة هذا العصر ومقلداتهم شبهات جديدة تولدت من الفلاسفة الجديدة يجب أن يُعنى متكلمو هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شي منها لعامة المسلمين ولاتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العالية الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبنى على فرض خلاف المطلوب قد يكون أهمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وإنما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليقة واسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته العظيمة وعلمه الواسع وتفرد به بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان (وذكرنا بعض الآيات في ذلك)

لماذا نقول للمسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك او لم يكن للعالم إله للزم الدور أو التسلسل وكل منهما باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — فثبت تقيضه وهو ان للعالم إله — ثم نحاول ان نفهمه معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانها وما أصعبه ركبا وأبعده مطلباً! وقد رأينا كثيرين من المتصدرين لتدريس علم الكلام يذكرن ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون



## (المترج ١٢ م ١١) الإيمان بالله عام في البشر ٩٤٣

ان الإيمان بوجود واجب جل شأنه عام في البشر باديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل الخلقة فأكثر علماء أوروبا وفلاسفتها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين ارتقت وثيقتهم كالبراهمة والبوذية حتى اليوم ومشرقي العرب في زمن البصرة ومن شد من البشر فأنكر وجود الباري تعالى لشبهة آثارها في نفسه قائلد دينه أو نظريات فكره الضميمة فهو لا يمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في الفطرة البشرية فقد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين ينكرون وجود الله تعالى قلوبون في مجموع البشر فهم مرضى الادواح - أو قال العقول - من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والعقل عرض يطرأ على بعض الناس كمرض البدن، فرض الجسد معها كثر لا يعد هو الأصل في المزاج وكذلك مرض العقل والروح لا يعد في الأصل وأن كثر المرضى به قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجود الله تعالى وتقول ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بملئه وقدرته واراادته ويعظمونه ويقدمونه وقلنا أخطأ الكفار في غير وحدانية الألوهية والربوبية من مسائل الإلهيات. فأما وحدانية الألوهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه، وأما وحدانية الربوبية فهي اتخاذ بعض البشر شارعين يشرعون للناس من الدين ما لم يأذن به الله. وقد بين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم قال في بيان عقائد مشرقي العرب ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ( قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ) سيقولون لله قل أفلا تدرون \* قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم \* سيقولون لله قل أفلا تتقون \* قل من يده ملكوت كل شيء \* وهو يحير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون \* سيقولون الله قل فأنسى تسحرون \* ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق \* ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ) فقد اثبت لهم الإيمان بوجود الله وانه هو الخالق الذي يده ملكوت كل شيء وقال فيهم مع ذلك ( وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ) فما هو شركهم؟ هو ما يثبته في آيات أخرى كقوله عز وجل ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إليه ففنى ان الله يحكم بينهم فياهم فيه يختلفون، ان الله

لا يهدي من هو كاذب كفار) وقوله سبحانه (و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قل اتقون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في أهل الكتاب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد روي في الصحيح ان عدي بن حاتم اسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال لاني صلى الله عليه وسلم انهم لا يعبدونهم فقال مامناه: اليس يحلون لم ويجرمون عليهم فيتعزهم؟ قال نعم قال فذاك . فهذا وما قبله هو الذي قن به الوثنيون والذي طرأ على أهل الكتاب وقديسه القرآن الكريم تبينا قلت كل هذا تميدا لبيان ما يجب اتباعه من تلقين المسلمين عقائد دينهم على طريقه القرآن المثل وأردت ان أشرع في المقصد فاذا أنا برجل مغربي قد اخترق جمهور الواقفين حتى انتهى الى دائرة القاعدين وصاح يا اخواننا المسلمين اسمعوا لي كلمتين وشرع في الكلام فاضطرب الناس وكثر اللغط وقام كثير من القاعدين فرغبت اليهم في السكوت والاستماع له . فأما احدي كلمتيه فكانت في مشروعية زيارة القبور والتوسل بالصالحين الميتين الى الله تعالى ليقربوهم اليه ؛ ويقضوا حوائجهم هذه او اعتقاد كرامات الاولياء ، والتحذير من ينكرون ذلك ويضلون به الناس كما فعلت الوهاية ، ثم ذكر ما هو شائع بين الناس من فتنة الوهاية ومحاربة السلطان وأمير مصر لم . وأما الكلمة الثانية فهي وجوب تقليد الأئمة المجتهدين في الدين والثناء عليهم وكون العمل بما في كتب الفقه هو عين العمل بالكتاب والسنة . وكان يقول مامناه ؛ يا اخواننا هل الذي يتوسل الى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يحب الصالحين ويعظمهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله ؟ هل الذي يعظم الأئمة ويعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله ؟

فلما أتم كلامه قلت أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ من حضر في اثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ واتي كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم اني لم أعرض لهذه المسائل بنفي ولا بإثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصدت اليه في هذا الدرس ووعدت به أمس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين

## (المنارج ١٢م ١١) موافقة رأي صاحب المنار لرأي الفزالي . الزيارة . الأئمة ٩٤٥

بأسلوب سهل وزمن قليل يبعث فيهم روح الدين ولا يشغلهم عما هم في أشد الحاجة إليه من أمر الدنيا وقد أشرت فيما قلت إلى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن الحكيم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام في تلقين الدين لا طريقة المتكلمين وقد سبقني إلى ذلك حجة الاسلام الفزالي فقال بمثل ما قلته في كتابه ( الجوامع العوام عن علم الكلام ) وغيره ، فصرح بأن كتب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفين ، لا لإفادتها وتقريرها لعامة المسلمين ، وإن طريقة القرآن هي التي يجب الاعتماد عليها في التعليم ، وكل ما قلته تمهيد لبيان ذلك بعبارة محكمة قريبة من الأذهان . وما خطر في بالي أن أحشر في درسي شيئا من هذه المسائل التي قطع بها الرجل علي كلامي قبل أن أصل إلى المقصد منه . وكأني بأناس يقولون الكذب ويتجرمون عليّ ويأخذون من كلامه تهما يلصقونها بي فحسبي أن يعلم هذا الجمهور العظيم الذي سمع كلامي غني ويسمعوا مني بأنني ما أنكرت ولا أنكر زيارة القبور لأجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد في حديث الإذن بها بعد النهي عنها واتي أزورها بالفعل ، وأحب الصالحين ولا أنكر ما لهم من الكرامة عند الله تعالى فإن من لا يحب الصالحين يكون أشقى الأشقياء ، وأعظم الأئمة المجتهدين واعتقد أنهم كانوا على هدى وإخلاص في خدمة الدين وإن من التوفيق والسعادة اتباعهم في الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسي الشيخ عبد القادر الخطيب وأراد أن يتكلم فأنزله عثمان بك العظم عن الكرسي وصده عن التكلم ووقف عليه وقال ما معناه : أيها الأخوان انه لا ينبغي للعوام الخوض فيما يختلف فيه العلماء فانصرفوا إلى شأنكم ومن كان من العلماء يريد مناظرة الاستاذ في هذه المسائل أو غيرها فليفضل بعد العشاء إلى منزلي . ثم نزل وقال لي تفضل فزلت ومشينا معا فمشي معنا جمهور عظيم من الحاضرين وسمعت بعض من بجانبني يقولون ما معناه لا تخف ولا تحزن فلا قيمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه وبعضهم يقول هلم واسرع . وكان اللفظ والضوضاء على أشدهما حتى خرجنا من باب صحن المسجد وحينئذ رغب إلى الشيخ أديب تقي الدين أن أدخل داره وهي بقرب المسجد

(المنارج ١٢) (١١٩) (المجلد الحادي عشر)



للاستراحة وردّ الزيارة ( فقد كان زارني في دار عثمان بك ) فأجبتّه الى ذلك فلما دخلت داره طفق يقبل رأسي ويثني علي ويطري درسي ويهون عليّ ما جرى ويحلف الايمان بانني ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشيء . ففجبت من ذلك كله لا أنني لم أكن أعد ما جرى في الجامع من قطع الدرس عليّ أمراً عظيماً ولا مصاباً يعزّي عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من هلف الناس وعنايتهم بتسليتي هو عدم تمودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الاقيات . وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل علي ما فعل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظنّة فانه هو الرجل الذي ذكرت اني رأيته يقرأ درساً لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهادي الصيادي أرسله الى دمشق ليث دسائسه فيها

قيل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبد الرحمن باشا اليوسف لانا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك ييكباشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجهِ لأن ما حصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لاجل اطلاق الشيخ صالح علي ما فهمنا وبعد صلاة العشاء في بيت عبد الرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك ولما عاد عثمان بك أخبرني بأنهم أخرجوا الشيخ صالحاً من الحبس وان فتنة عظيمة أثرت في الشام فحمل ألوف من الناس السلاح واحتشدوا في الاسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأجبت ان نختم الدرس ونخرج ولا تطيل في الرد علي الشيخ صالح . قلت له ما هو سبب ذلك فان ما حصل في الجامع لا يصح ان يكون سبباً لحمل السلاح ولا للفتن لانه لا يزيد علي اساءة رجل



## ( الملتاح ١٢ م ١١ ) فنة دمشق . كونها مديرة ٩٤٧

بقطعه الدرس عليّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبة تنتم لي ان أحيت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري أذلك الرجل عصبة قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تنصر له ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انصار يطلب انصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح ؟!! قال انني علمت من حال بعض الحاضرين في الدرس ان هناك فنة مديرة يراد إيقاعها في الجامع بأدنى مناسبة أو بخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس لاشيخ صالح عصبة ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفنهم الى المطالبة باطلاقه لهم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تيسر لهم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم ويؤدي من لا يستحق الايذاء ولا حاجة الى شرحها ولكن أقول بالاجمال إنها تتعلق بانتخاب المبعوثين . ولا أكنم عنك انه لا يكاد يوجد أحد في الشام يخرج من بيته بغير سلاح . قلت اذا ليس في الشام حرية شخصية تحميها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقيم في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقيم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله . فهذا ما دار بيني وبينه في الليل ثم نمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولما طلم النهار سافرت من الشام قاصدا رفاق

اجتمعت في قطار سكة الحديد ببعض أدباء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتن الظاهرة والفتن الباطنة ، منهم شابان ذكرا من محبي الإصلاح والعلوم المصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكراني أسماء شيان آخرين على مشربهما وقالوا انهم يكتمون ميلهم ورأيهم ولا يحبون ان يعرف شي عنهم . ثم اجتمعت ببعض باشوات الشام في بعلبك فحدثني بما يعلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو من حضر الاجتماع عند الوالي ليللا . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فعلت من ذلك ومما سمعته في حمص وقراته من المكتوبات التي بعث بها من الشام الى حمص وغيرها جميع ما كان من المكاييد والفتن وهذا مجمل ما وصل اليّ :

## أسباب فتنة دمشق

الأصل في ذلك كله امتناع بعض الؤءاء أصحاب النفوذ من أسعد بك وسالم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكباشي » من أركان الحرب والءكتور ءيدر وكلهم من أعضاء ءمعة الاتحاد والترقي ، وكراهتهم لهذه الءمعة لأنها ءعلت لهؤلاء منزلة ونفوذًا في الشام يعلو نفوذ أولئك الؤءاء المتمعنين الذين يرون أنهم سادات الشام وأنه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصورا عليهم ومحصورا فيهم وخالصا بهم !! قهرتهم ءمعة الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتجرؤوا على الوقوف في وءها ومناءزتها ءهرا قتر بصوا بها الدوائر حتى اذا ما ءاء زمن انتخاب المبعوثين ورأوا من ذكرنا من أعضاءها يشتغلون بأمره عيل صبرهم وءلأوا الى الكيد وءرأهم عليه نءره بك المطران الذي ءاء الشام ليرشح نفسه للاتخاب ويستعين عليه بمن يستميلهم الى ءمعة الأخاء العربي فانه كان يهون على الناس أمر ءمعة الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن ءمعة الاقراق والتدلي ، أي التي تفرق بين الترك والعرب وتنصر الاستبداد وتخذل الدستور . فاندفع أولئك الؤءاء الى الفتنة بقوة وهمة وبشوا دسائسهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي كرم الله وءهه حتى دخلت طائفة منهم الءامع الأموي مءءعة بالسلاح للتنكيل ببعض المشايخ المءرسين لأنه ختم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيء مبعوث ولكنه كان يقول لمن يطلب منه انختم اننا نطلب بهذه المريضة ابطال رقص النساء في بعض الملاهي !! ووقعت فتن ومشائء أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب بعض الناس كما قيل لنا ولا نءب ان نخوض في ذلك

ولكن موقظي الفتن ومثيري الشغب لم يكن لهم سبيل للنيل من أعضاء ءمعة الاتحاد والترقي فيما ءرى الا بالكلام كهولهم انهم علة اختلال الأمن وءءوٲ الاضطراب في البلد « رمتي بءائها وانسلت » وانهم يريدون ابطال الدين بتءريئهم الناس على الفطر في نهار رمضان علنا وباءقارهم لؤءاء البلد وعلمائه !!! هذا ما كانت عليه دمشق عند قءومي اليها كانت تتمخض بالفتن التي يءبر أمرها رجال لا يزيد عءدهم على عءد الذين ءبروا أمر الصءيفة من قرش وكان

أشدّهم افساداً أحد الباشوات الذي يرى انه بعظمة يئنه يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها . واستعانوا على كيدهم ببعض أصحاب العائم الجاهلين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي رياسة دينية علموا انها لا تلبث ان تمحى وتزول في عهد حكومة العدل والشورى

وآتي هؤلاء الكائندون تحت قبة الجامع الأموي أيّين للناس انهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يحبوا فيه دينهم علما وعملا واخلاقا وآدابا ، وان يرقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفر الامم روعة وأعلاها جنابا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد ولهجوا بالثناء عليه ، فقالوا ان هذا السيل الآتي يأتي على ما بيننا من صروح الآمال ، ويحرف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الاتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب يراه عذبا فراتا ، بطني ، غليلا ويحيي مواتا ، فيجب ان نبادر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان تروى منه القلوب والافكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا على الدرس الثاني فلولوا وهم يعتذرون ، فقالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فما لهذا الامر الارجل يشتري ما يراد منه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والاعمال ، وما ذاك الاداعية ابن صياد الدجال ، المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي بطيعكم فيما يترفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالتعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الايام ، فلما لبى الشيخ صالح داعية أبي الهدي دعوتهم ، وقبل صلّتهم ، أوعزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصيل ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القيل والقال ، وقد علم هذا كثير ممن كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي الواقفين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء عليّ وتسليتهم إياي كما تقدم لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يفتقون عند ذلك الحد ، وان الخيبة في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثبرا لفتنتهم ورأي اعوانهم قد أدلوا اليه يوسوسون له ويمدون في الغي ثم لا يقصرون ، ففلن ان



## ٩٥٠ اسباب فتنه دمشق: كونها لم تدبر لا يذاه صاحب المنار (المخرج ١٢م ١١)

حبسه يسد باب الفتنة فحبسه فطاروا بذلك فرحاً، وفتح لهم به باب جديد أقرب الى مقصدهم لأنهم يصلون منه الى الإيقاع بعدوهم أسعد بك نفسه وجمعيته بلا وسيلة ولا واسطة، فأنفذوا أناساً الى المساجد يستغيثون المسلمين ويستفرونهم لاعانة الدين وحماية علمائه من ظلم جمعية الاتحاد والترقي والحكومة الجديدة! فصاح اولئك المنفذون صيحتهم بعد صلاة التراويح، فأقبل الناس يتساءلون: أي خطب دهي الاسلام وأي بلا نزل بالعلماء؟ ويجيبهم خطباء الفتنة إن فلانا العالم الفاضل دافع عن الدين فقبض عليه أسعد بك وزوجه في السجن فاذا لم نبادر الى اتقاده بقوة الشعب فان هذه الحكومة تقضي على جميع العلماء وتمحو دين الاسلام من الشام!! ويقال انهم أنفذوا أناساً آخرين يقولون مثل ذلك في الاسواق وأعطوا كل واحد منهم «بشلكا» (١) فاجتمع الناس من كل فج حتى صاروا يعدون بالألوف وصاروا ينادون: ليسقط أسعد بك لتسقط جمعية الاتحاد والترقي. وبلقي انهم قالوا أيضا ليسقط القانون الاساسي وليعش الوالي! (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الاساسي فكان دعاؤهم في ضلال) ولولا ان توارى أسعد بك لقضوا عليه كما قبل وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وافن رأيه، مالا ينتظرا كثر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله، فانه لما رأى الجوع قد حشرت، وزمرة الوجهاء قد حضرت، وعظمت عليه الامر وأرجفت، رجفت في قلبه الراجفة، وتلتها الرادقة، ففتح لمكرهم، وخضع لامرهم، وأمر بأن يؤتى بالشيخ صالح فجى به، وطاف بالناس في مركبته (مركبة الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجنود ما يكفي لهم الفتنة الاهلية بل لاعلان الاحكام العرفية، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم، لاستقرت هبة الحكومة في النفوس منذ ذلك اليوم، لأقول في دمشق وحدها، بل في الولايات السورية كلها، فعلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة انني لم أكن مقصودا بالإيذاء الذاتي، ولا مؤاخذاً علي قول زل به في الدرس الثاني لساني، (لاني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولا نوهت بجمعية الاتحاد!) وإنما كثر في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس؟ فكان كل مسئول يجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعلبك وحصص انه نام رجل في الجامع الأموي فأنكر

(١) البشلك ضرب من تقود الدولة العثمانية يزيد عن نصف فرنك قليلا



## ( الماروج ١٢م ١١ ) فليج مثيري فتة دمشق- أسباب عداوتهم لصاحب النار ٩٥٩

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء ١٠ ولكن الذي لقنه دعاة الفتنة للأكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وأنكر زيارة القبور والتوسل بها . وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وطرابلس ومصر والاسكندرية وقد علمت انه كذب وبهتان نال محرري الفتنة من أسعد بك ما أرادوا وانتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضعف جمعية الاتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك جل ما كانوا يبغون في نفس الشام فكان من المقول مع هذا أن يسكتوا عني لاني لم أكن الغرض الذي يرمون سهامهم اليه ، وانما عرضت بينهم وبينه فرموني لا تنجي فصل سهامهم اليه وحده ، فما هو السبب ياترى في استمرار عداوتهم لي ومكاتبة الجرائد بسبي وثلي ؟ يظهر لي ان لذلك أسبابا : منها أن الشر داعية الشر وان الرجل الخبيث اذا حاول شرا قتم له كما يجب تضري نفسه بالشر فاذا ظلم انسانا بالاهانة والتسخير مثلا فذل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على اهاتته وتسخير له استلذاذا بذلك وتبعجا ، ومنها انه اعتم هذه الفرصة رجل من أدعياء العلم حاقد علي فزج نفسه في حماة هذه الفتنة وطلق يكتب ويستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد رفعت عن نشر ما بثوابه اليها من السخف فلم تقبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتقهرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الإصلاح . ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أرباب الهام فكتب له رسالة في الرد على النار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها ما زاد فرد عليه النار يومئذ ردا صريحا صرح فيه باسمه ففضح جهله وجهل من كتب له ( ١ ) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله ، واعانه عليها نفر من أقاته ، ولي هنا استدراك وهو ان أكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد اسندت البغي والعدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاطلاق لاستخفاء المعتدين منهم وذلك تساهل في التمييز أدى الى خلاف ما يريد الكاتبون فبني عليه حكم فاسد خفي عن الأكثرين فساده خلفاء المراد من العبارة التي اخذ منها . أعني انه صار يقال ان أهل الشام ناصبوا صاحب النار العدا وآذوه بالكلام وإن أهل بيروت انتصروا له وأهانوا

( ١ ) راجع مقالات طهارة الاعطار ذات الكحول ( ص ٨٢١ و ٨٢٦م ٤ )

## ٩٥٢ اتهام أهل دمشق بابتغائهم إيذاء صاحب المنار . فيه ( المتأرجح ١٢م ١١ )

أهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافلهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من أهل الشام كلمة شاذة عن النزاهة والأدب بل سمع من كل من لقيه منهم أرق الكلام واعذبه، وألف عبارات الترحيب والثناء، وإنما تصدى لقطع درسه وإلزام العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبوا باعدهم لأنهم يعدونه من جواسيس الشيخ أبي الهدي والدعاة له، وشاب آخر من طلاب العلم أراد أن يسأل عن شيء سوءال متبرم مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريد من ذلك . وأما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم آفأ فهم لا يتجاوزون جمع القلة على اتني لم اكن غرضهم وإنما عرضت أمام غرضهم كما تقدم . على اني لو بقيت في دمشق لتصدوا لا يذائي بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يؤخذ من هذا ان أهل الشام فعلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجهاء المحيين للمنار الذين كانوا يقرؤنه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب اليّ بعد ان عدت الى طرابلس كتابا قال فيه « واني لنحجول وإيم الله من فضيلتكم ومقابلتي اياكم بدار هيمان بك تلك المقاتلة لكن ربنا عليم بأنني لم أحضر تلك الليلة لمقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفا عليكم وحفظاً لكرامتكم من سفهاء العامة المتزيين بزين العلم والعلم بعيد عنهم بعد السماء عن الارض قري ان الواحد منهم يظن أنه اذا كبر العامة وطول الذقن ووسع أكام الجبة وركب البغلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن تحت القبة ولا حبة — انه صار عالماً » ومع هذا كله اقول اني لست على يقين من طعن رجل معين من أهل الشام فيّ الا ذلك الحاقد الذي اشرت اليه آفأ، فاهل الشام ليسوا خصما لي ولا لأهل يروت وليس أهل يروت خصما لهم

وجملة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من أهل الشام نفر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة يندر في الجملة وانه لم يتصد أحد من علماءهم للرد عليّ في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرا نفسه مينا اسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يعلمون اني أخطأت فلماذا سكتوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب اليّ مينا خطأي ان كنت أخطأت . سأله ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد العماني وأسأله هو وسائر علماء الشام ذلك

٩٥٣

تنبيه - تصحيح

(النارج ١٢ م ١١)

بلسان النار وأنا أنشر لهم ما يكتبون في النار واذعن له إن كان حقا وأين ما عندي فيه إن كان خطأ . وهذه هي حجتى عليهم فإذا هم سكتوا عن هذا اليأس فم لا يخرجون عن أحد أمرين : إما أنه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئا مخالفا للشريعة وهذا كافٍ لتكذيب أولئك المذاعين الذين خاضوا في الآثم ، وإما أنهم يكتبون الحق وهم يعلمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والاحاديث من وعيد الكاذبين

(تنبيه) — سقط اسم السيد (حسين وصفي رضا) من ذيل مقالة التقاريف سواء إذا أنه هو الكاتب لها

﴿ تصحيح ﴾ وقعت اغلاط في الجزئين ١١ و ١٢ وهذا بيانها فتصحح بالقلم :

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠٢	١٩	لوصفهم	فوصفهم	٨٧١	١٢	قال	قال له
٨٠٣	٢	المعتدين	المعتدين	٨٧٢	٦	ولا يراعي	ولا يجوز أن يراعي
٨٠٥	١٧	نزرع	نزرع	٨٧٥	٢٥	وسبعون	وتسعون
٨٠٨	٢٤	في وعيد	من وعيد	٨٨٣	٥	هذا المتبادر	هذا هو المتبادر
٨١٠	٧	له	إلى	٨٨٣	١٤	تتقوى	تتقوى
٨١٢	٢٢	يستوي	تستوي	٨٨٤	١٥	دخلت	دخلت
٨١٥	٦	الذين	وهم الذين	٨٨٥	٢٥	وقالتوا	قاتلوا
٨٣٦	١١	كان	لما	٨٨٦	١٥	ظاهر	ظاهراً
٨٣٧	١٢	حال	مال	٨٨٦	١٦	الواجب	لوجب
٨٦٤	١٦	دونها	دونها	٨٨٧	٥	التنزيه	التنزيل
٨٦٤	٢٤	الحرب	من الحرب	٨٨٧	١١	قالوا وفي	قالوا الواوفي
٨٦٥	١٩	عدد قليل	عدد غير قليل	٨٨٨	١٦	ويبدل على	ويبدل أيضاً على
٨٦٧	٩	التي يفرضها	التي لا يفرضها	٨٩٢	٢٢	البشرى أو	البشرى
٨٦٩	١٤	تقدم	تهوم	٨٩٦	١٥	فألقى	فألقى
٨٧٠	١٢	أوانا	وانا	٨٩٧	٢١	يكتب بعد كلمة: ومجمع	هذه الفقرة ( بينه وبين القول الاول )
٨٧٠	١٤	من	في	٩١٣	٢٩	بها فكان	بها ثم جعلنا هاذيلا
٨٧١	١٤	منه	مناجي	٩١٥	٨	لحقية	لحقية
				٩١٥	٩	العالية التي تصل	العالية تصل

(المجلد الحادي عشر)

(١٢٠)

(النارج ١٢)



٩٥٤ خاتمة السنة الحادية عشرة . الذي انتقد على المنار ( المنار ج ١٢ م ١١ )

## خاتمة السنة الحادية عشرة

بحمد الله وشكره نختتم السنة الحادية عشرة من سني المنار ، فهي وله الشكر الاسنى ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نعدّها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، فكأن تلك السنين العشر ، غير معدودة من العمر ، وكأن هذه السنة الاولى من العقد الثاني للمجلة ، هي اللؤلؤة الاولى من العقد الاول لما وللملة ، كيف لا وهي سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ، فبرى القارىء هذا المجلد من المنار طافحا باخبار الدستور العثماني ، ومجلس المبعوثان والقانون الاساسي ، وأسباب ما حدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب الاحتفال ، و ذكر سياحة صاحب المنار في البلاد السورية ، وبعض ما ألقاه فيها من الدروس والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم المنار أو صاحب المنار يعد من اكبر الاخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار . وسنلم في فاتحة السنة القادمة ، بتاريخ المنار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات ، التي قدمت في فواتح بعض السنوات ، ونشير فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستعدين لمشربه ، اذ كانت الاخطار تواب من بطالم عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين والجامدين ، والمنصفين والحاسدين ،

ما انتقد على المنار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه انتقد على المنار شي لم ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه علي ما كتبه في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بعظماء الرجال بمصر من انكار نصب التماثيل الموتى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من اني طعنت في اهل طرابلس فيما كتبه عن سياحتي



## ( (المناج ١٢ م ١١) خاتمة السنة الحادية عشرة . نصب التماثيل ٩٥٥

نصب التماثيل للموتى

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الاستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة  
تحریم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المنفضة  
اليها . ويرى المتقد ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا  
تثبيتاً للذين دعوا المصريين الى الاكتاب لنصب تماثيل لمصطفى كامل لما كان  
يحيى وبينه من الخلاف السياسي . ويرى هو ان اقامة تماثيل لمصطفى كامل وغيره  
عما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية . هذا مجمل ما كتبه المتقد كما أذكر .  
فاما ما ذكر من حكمة تحریم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المناج قبل نشر رحلة  
الاستاذ الامام ( بلرم صقلية ) بسنين . ولو تأمل المتقد ذلك الرد الذي نبى عليه  
انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفاً مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم او علمه  
لا ينقض شيئاً مما كتبناه وكذلك ما كتبه الاستاذ الامام في رحلته لا ينقض قولنا بل  
يؤيده ، فقد صرح بأن المقي لا يفتي بجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقاً

وهنا نبين للمتقد وامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله  
الاستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما نشره من ذلك في المناج إنما قصد به بيان  
حكم الاسلام ومواقفه لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تمسكوا به ودفع الشبهات  
التي ترد على أحكامه دون جعله مذهبا يقلدنا الناس فيه ، الا من ظهر له الدليل على  
شيء فأخذ به لا اعتقاده أنه هو الحق ، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبينين  
للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم  
اليه . فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحریم التصوير ونصب التماثيل يقتضي  
إباحة نصب تماثيل لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المتقد معتقداً ذلك  
فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله إباحتها شرعاً ؟  
كلا . إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الانفراد بما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن  
دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون ا كان  
ما وافق هواهم حلالاً أم حراماً !

## ٩٥٦ خاتمة السنة الحادية عشرة .وجه حرمة نصب التماثيل (المراجع ١٢١١م)

المسلمون قسمان: الأول المقلدون للفقهاء وهم السواد الأعظم وبقية المذاهب الأربعة وهؤلاء، يحرمون نصب التماثيل، أفليس من امنهاتهم ان يدعوا دعوة عامة لعمل محرم عندهم؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بخاصة نفسه، وليس له ان يثبت على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظها في الاحاديث الصحيحة، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكم، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه ويأخذ المنكر عليه فان اقنعت دعوته الجمهور عمل بها وانما نحتاج على المتقدم بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فنقول:

ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترف المتقدم بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه وبعض محرري اللواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يطري نفسه بذلك، فلما لم يلق غلوهم قدرا ولا اعتراضا جماعه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبهم على ذلك بعض الشعراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكفاء بموازن العروض، وتبع هؤلاء من يتبهم عادة فلم يمس على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثل ديني خيالي غريب، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة! وانه ظهر له في طفولته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على «باحثة بالبادية» التي اقترحت بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر. أفرأيت من غلا حربه فيه هذا النأو، وجماعه في هذا الأفق الخيالي من العلو، أيستغرب افتتان العامة بتمثاله في بلاد تلتس فيها البركات، ودفع المضار وقضاء الحاجات، من نمل الكلشنى وباب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من الجمادات وكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة وبعض الآبار العتيقة!!

لا أرى وجهاً في ذلك التعليل لنصب تمثال لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والخوارق، وأنشأ بعض الشعراء بمخلع على هذه الصورة من

## ( المارچ ١٩٨٢م ) خاتمة السنة الحادية عشرة . انتقاد جريدة طرابلس ٩٥٧

حل الخيالات الوهمية والخرافية ما تجود به أقلامهم ونأهيك بجود الشعراء في الكلام !  
ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما  
دنيويا ولما طال عليها المهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطلب منها  
الحاجات ، فسد الدين هذا الباب سدا محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ  
صورة ولا تمثالا لأجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على  
الصور والرسوم التي يستعان بها على العلوم كالتطب والتشريح وعلم وظائف  
الأعضاء ( Physiologie ) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها  
الألفاظ من لم يكن رآها معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فإن احالة الكثير من كتب  
اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فإذا قيل : النسر طائر معروف والعقاب  
طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وإن هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك  
قول الغوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكماء على حفظ  
الأمن وتربية المجرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي  
كان يقول الاستاذ الامام ان الاسلام يحل عن تحريمها وأذكر انني ناظرت بعض  
علماء طرابلس فيها قبل هجرتي الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير  
فوافقني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد  
صحيحة لا يجرها الشرع

### انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من النصفين ما كتبناه عن طرابلس فقالوا انه بيان صحيح لحالها  
واعذار عماري به أهلها من اللوم والذم لذنبا تاه شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن  
تلك الكتابة ساءت نفرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أثروا من  
الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتقموا من الكاتب بهييج أهل  
طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانهم أجمعين ! وبلقي انهم كانوا يطوفون على الأدباء  
ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المارو وعدت جريدة طرابلس بأن تنشر  
ما يرد عليها من الرد !



## ٩٥٨ خاتمة السنة الحادية عشرة . انتقاد جريدة طرابلس ورده (الناشر ١٢٠١١)

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة المنار عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذر عن المنار بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما انتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسموا في الجرائد قدا الا بقصد الذم والإيقاع . وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . قلت لكننا نقلناه لردده ونقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . قلت وماذا يقولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك اقتراه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبه عن الجمعية الخيرية العثمانية . قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبه أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم . وإن ما كتبه عنها هو أقل ماسمعه وبلقي ان جمعية الاتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكتابتني هذه وأنا من أنصار جمعية الاتحاد نصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تلطينا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الاتحاد والترقي في الاستانة .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ان ما كتبه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ماقدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . قلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة أكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فاذا كانت عبارة المنار تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أنروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة العمارات في جهة التل واتقبة على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالمناسبة وسأراجع المنار

ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في العلوم والتجارة وانه كتب في المنار بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تعود سوريا كما تعودته مصر . قلت انه قد صحح



## (المارچ ١٢م ١١) خاتمة السنة الحادية عشرة. اختصار جملة الصلاة على النبي ٩٥٩

والفرض منه صحيح وهو ان يقبّه أهل بلدنا الى ما يجب عليهم لتدارك ما أصابهم في الايام الماضية . وان ما كتبه الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض ولا بد ان نعود قومنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي لا يكتب فيها الا المدح والاطراء ، لأجل الاستمالة والاسترضاء ، أو الذم والمهجة ، لأجل التشفي أو الايذاء ، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ، والرد على من أساء الظن فيهم ، فاذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد عليهم ، ويان قصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ وهل تكون الصحف مفيدة الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ما أتذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في العدد الآتي من طرابلس للتصل من نشر ما يريد نشره المتقدمون ؟ فاتفقنا على ان يكتب اتني ينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنًا في أهل طرابلس بل دفاعًا عنهم خلافا لما فهم بعض الناس واتني سأين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد كتب هو ذلك ونحن بيننا هنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجرياً على سنتنا من نشر ما ينتقد علينا

### اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم » بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة « رضي الله عنه » كلما ذكر الاستاذ الامام والصواب الذي يراه القارئون المنارات ان لا تذكر كلمة « رضي الله عنه » عند ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ، وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا ما تذكر غير مختصرة . والاختصار يوفر شيئا من وقت الكاتب ومن الورق فيسمع من الفوائد أكثر مما يسهه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها العهد في كتب المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والامانة وكانوا يختصرون الجملة هكذا « صلّم »

## ٩٦٥ خاتمة السنة الحادية عشرة . دعوة المنار الى انتقاده . الاشتراك (المنار ج ١٢ م ١١)

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفا منها فاستحسنوا أن يستبدل بها حرف (ص) . ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلم) حرفي «ع» بمعنى عليه السلام كما يختصرون جملة «رحمه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه» بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فهم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف يفهم منها المراد لما اختلف العقلاء في العمل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى إلا في بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لا خيال الخط لأجل ثقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من الفوائد وهي خاصة بمن يتصدون لذلك كحرفي الجرائد

### دعوة المنار الى الانتقاد عليه

اتنا ندعوي هذه الخاتمة الى مثل ما دعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد على المنار ولكننا لا نقبل نقدا مبني على ما يتقوله بعض الناس على المنار، ولا نقدا يخرج فيه المنتقد عن موضوع ما ينتقده من فقره ، وإنما يقبل الانتقاد على فقرة تنقل بنصها من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطأها

### طلب الاشتراك وقيمه

لا تزال قيمة الاشتراك على أصلها قائما لم نزلها وإن كانت جميع الأشياء ازدادت خلاء في هذا القطر . ولكن أمرا طالما نبهنا اليه ولا يزال الناس يذهبون عنه ذلك اننا صرحنا مرارا بأن المنار لا يبعث به إلا لمن يبعث بالقيمة سلفا ، واننا لا نقص من قيمة اشتراكه شيئا لأحدهما ، ومع ذلك فإن الناس لا يزالون يسألوننا ذلك ، فنحن نكرر القول هنا كما كررناه مرارا بأن الإدارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقا

هذا واننا نختم هذا المجلد بمثل ما افتتحناه به من ذكر الله والثناء عليه عز وجل ونسأل الله ان يلهي الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن تبعهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني